صور العمل الخيري
وأثرها في القضاء على الظواهر السلبية

د.خالد السعيد السيد سليمان

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

ملخ لبد

تهدف هذه الدراسة إلى بيان دور العمل الخيري في تحقيق التنمية الشاملة للمجتمعات البشرية في النواحي المختلفة، سيَّما التنمية الاقتصادية، والسلوكية، والاجتماعية، والفكرية، للدلالة على عموم العمل الخيري وشموله سائر الجوانب، وذلك عن طريق بيان صوره المتعددة، ومساهمتها في القضاء على بعض الظواهر السلبية المنتشرة، وقد اصطفيتُ من هذه الظواهر المرضية (ظاهرة البطالة، وظاهرة الفقر، وظاهرة الإدمان، وظاهرة التفكك الأسري)، وهي ظواهرُ موجودة في بعض المجتمعات منتشرةٌ في بعضها الآخر، يعمُّ أثرُ وجودها الفردَ والجماعة أيضاً، بل يتأثرُ بوجودها المجتمعُ الدوليُ عامةً، وفي الإسلام من المبادئ والتشريعاتِ ما هو كفيلٌ بمحوها والقضاءِ عليها، وسوف يظهر من خلال هذه الدراسة معالجة التشريع الإسلامي لهذه الظواهر بصورة واقعيةٍ فعليةٍ، فضلاً عن الصورة التأسيسية النظرية، ما يدلُ على صلاحية التشريع لكل زمان ومكان وإنسان، فالحمد لله الذي أتمَّ علينا نعمته، وأسبغ بالإسلامِ منَّته، واللهَ أسألُ القبول والتوفيق.

Abstract

The objective of this current study was to show the role played by charitable work to achieve the total development of humanitarian societies within the different aspects and areas, in particular for economical, behavioral, social and intellectual developments.

Indicating how charitable work is involving and embracing the all areas.

This can be illustrated by displaying its various forms and their own contribution to fight and overcome some of spreading or disseminating passive phenomena. I have selected from these unhealthy phenomena unemployment phenomenon, Addiction phenomena, and dissolution and dissociation of family as a phenomenon as well.

These are phenomena existed within so me societies and were found to be penetrated and spreading within others ones. Their own bad effect involve both individual and group, even their own bad impacts penetrate the whole world in general.

Islam religion, with its own basic principles and legislations can be able to erase and overcome such undesirable phenomena.

It will be later seen by this current study how the Islamic legislation is fit to deal and cope with such challenges in actual realistic way.

Moreover, by the fundamental image of theory, here is something that can indicate and assure the fitness and soundness of the legislation allover the time, place and humans. Praise to Allah.

The All-mighty who provide us with his own blessing and gift us the Islam religion praying him to make us acceptable and successful work shippers.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أما بعد،
فلقد أرسل الله تعالى رسله بالهدى ودين الحق يبتغون علو الإنسانية وارتفاع شأنها، ويسعون السعي الحثيث لاجتثاث الأمراض العضوية والنفسية من أبنائها، مستمدين الطاقة والقوة من وحي السماء، مستعينين في ذلك كلِه بما شرع الله تعالى لعباده مما يزيل العلة ويُفَعِّلُ الدواء.
وهم في سعيهم هذا لا يبغون من الناس جزاءً ولا شكوراً، ولا ينتظرون لديهم عطاًء أو أجورًا، بل يتصببون العرق ويبذلون الجهد ابتغاء رضوان الله تعالى وإصلاح البشرية، بما يعتبر سلوكاً حضارياً حياً لا يمكنه النمو سوى في المجتمعات المثقفة الراقية، وهو نوع من العمل الخيري الذي يلعب دوراً مهماً وإيجابياً في تطوير المجتمعات وتنميتها، وكان وما زال من أهم أسس النهضة الإنسانية الشاملة.
وللعمل الخيري أهميته وأثره في إحداث التوازن العام في المجتمعات، سيما مع اتساع الفجوة بين موارد بعض الحكومات واحتياجات شعوبها، بما يستدعي الدراسة العميقة للتطوير والتفعيل، كما أنه يساعد على توفير مصدر ثابت ومستمر يسد حاجات المجتمع.
ولا يخفى على عاقلٍ مدى اتساع أبوابه وتعدد صوره ، وقد جاء هذا البحث لبيان بعض (صور العمل الخيري وأثرها في القضاء على الظواهر السلبية) محاولة جادة لإماطة اللثام عن بعض هذه الصور وأثرها في القضاء على بعض تلك الظواهر، مُقَسَّماً إلى تمهيد وخمسةِ مباحثَ وخاتمة على النحو التالي:
أما التمهيد ففيه: التعريف ببعض مصطلحات العنوان، وأما المباحث فهي كما يلي:
المبحث الأول: العمل الخيري دوافعه وفضله.
المبحث الثاني : صور العمل الخيري وأثرها في القضاء على ظاهرة البطالة .
المبحث الثالث : صور العمل الخيري وأثرها في القضاء على ظاهرة الفقر.
المبحث الرابع : صور العمل الخيري وأثرها في القضاء على ظاهرة الإدمان.
المبحث الخامس: صور العمل الخيري وأثرها في القضاء على ظاهرة التفكك الأسري.
الخاتمة، وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

وفيه التعريف ب(الصور – العمل الخيري – الظواهر السلبية)على النحو التالي:

أولاً : معنى الصور، جمع صورة و"الصُّورَةُ بالضَّمّ: الشَّكْلُ والهَيْئَةُ، والحقيقةُ، والصِّفَةُ، وتَرِدُ في كلامِ العَرَبِ على ظاهِرِها، وعلى معنًى حَقيقةِ الشيْءِ وهيئَتِه، وعلى معنًى صِفَتِه، وهي ضربان:

ضَرْبٌ محسوس يُدركُه الخاصّة والعامّة، بل يُدْرِكُه الإنسانُ وكثيرٌ من الحيوانات كصُورَةِ الإنْسَان والفَرَس والحِمَار .

والثَّاني: معقُولٌ يُدْرِكه الخاصَّةُ دونَ العَامَّة كالصُّورَةِ التي اخْتُصّ الإنْسَانُ بها من العَقْلِ والرَّوِيَّة والمَعَانِي التي مُيِّزَ بها"(١)، وعلى هذا فالمراد بصور العمل الخيري هنا: أنواعه وأشكاله المجتمعية التي تساعد في القضاء على تلك الظواهر السلبية.

ثانيًا: معنى العمل الخيري، وهو مركب إضافي مكونٌ من جزئين، بيانهما كالآتي:

أ. (العمل) والمراد به: "المِهْنَة والفِعْل، والجمع أعمال"(٢)، قال الله تعالى :﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾(٣).

وفي الحديث عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أبيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ»(٤)

والعمل بمعناه العام يقصد به : كل فعل أو جهد أو حركة تصدر عن أي جسم كان، فقد يصدر عن الجمادات والنباتات والحيوانات أفعال وحركات مختلفة وهي تعد أعمالاً(٥)

---

١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد أبو الفيض مرتضى الزَّبيدي(٣٥٨/١٢-٣٦٠)، طبعة دار الهداية.

٢) لسان العرب ،ابن منظور(٣١٠٨/٤)، تحقيق: عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي، طبعة : دار المعارف، القاهرة.

٣) سورة الفرقان من الآية رقم(٧٠).

٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٧٥/١)(٨٩٧)، وقال: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ هِشَامٍ إِلَّا مُصْعَبٌ، تَفَرَّدَ بِهِ: بِشْرٌ، يُرَاجَع: المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، طبعة: دار الحرمين – القاهرة، ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٣٤٩/٧)(٤٣٨٦)، يُرَاجَع: مسند أبي يعلى، أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي، طبعة: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى ، (١٤٠٤ه – ١٩٨٤م)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد(٩٨/٤)(٦٤٦٠) وقال: رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَفِيهِ مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَضَعَّفَهُ جَمَاعَةٌ، يُراجَع: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، طبعة : مكتبة القدسي، القاهرة، سنة (١٤١٤هـ،١٩٩٤م)

٥) العمل والضمان الاجتماعي في الإسلام ، صادق مهدي السعيد، ص(٣)، طبعة مطبعة المعارف، بغداد سنة (١٩٧٦م)، العمل الخيري وأثره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي، دراسة حالة- قطاع غزة - رسالة مقدمة لكلية التجارة بالجامعة الإسلامية بغزة ،للباحث:محمد ابراهيم أبو عليان،ص(٥٠)سنة(١٤٣٥هـ-٢٠١٤م).

وفي الاصطلاح الاقتصادي: هو الجهد الإرادي الذي يبذله الإنسان مستهدفاً إنتاج السلع والخدمات، أو:كل مجهود يبذله الإنسان لتحصيل منفعة([1])

والفرق بين الفعل والعمل: أن

١- الْعَمَل إِيجَاد الْأَثر فِي الشَّيْء، يُقَال فلَان يعْمل الطين خزفا ....، وَلَا يُقَال يفعل ذَلِك لِأَن فعل الشَّيْء هُوَ إِيجاده ابتداءً ،وَقد قالَ الله تَعَالَى﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢) أي خَلقكُم وَخلق مَا تؤثرون فِيهِ بنحتكم إِيَّاه أَو صوغكم لَهُ

٢- الأصل في الْأَفْعَال: مَا يَقع فِي علاج وتعب واحتيال ولا كذلك العمل.

٣- أصل الْعَمَل فِي اللُّغَة الدووب والاستمرار وَلَا يُقَال للْفِعْل الْوَاحِد عمل حَقِيقَة(٣)

ومن ثم كانت تسمية صور الخير التي تُسدَى إلى أصحاب الحاجات (عملاً) من هذه الجوانب ، أعني: الرغبة في تحقق الأثر، والسعي الدؤوب للممارسة والتطبيق، حتى لو اقتضى ذلك جهداً وتعباً فإنه يحقق الراحة لنفس العامل ولغيره، والاستمرار على ذلك حتى بلوغ درجة الكفاية، ثم الانتقال إلى مجتمعات أخرى لكفايتها

ب.الخير: وهو في أصلِهِ: الكرم والجود والشرف والأصل، والنسبة إليه (خيري)، ويقال: خيار المال – لكرائمه-، والخير ضد الشر وخلافه([4])، وهو بمفهومه العام : كل ما يبعث على الرضا والاستحسان لكماله في نوعه، وهو لفظ يدل بمفهومه على "العطف والميل ،لأن كل واحد يميل إليه ويعطف على صاحبه –يعني يركن إليه ويحب لقاءه، والمستخير يسأل خير الأمرين ويقدم عليه"([5])

وقد عرفه الطاهر بن عاشور بقوله: "وَالْخَيْرُ: مَا فِيهِ نَفْعٌ وَمُلَاءَمَةٌ لِمَنْ يَتَعَلَّقُ هُوَ بِهِ، فَمِنْهُ خَيْرُ الدُّنْيَا وَمِنْهُ خَيْرُ الْآخِرَةِ الَّذِي قَدْ يُرَى فِي صُورَةِ مَشَقَّةٍ، فَإِنَّ الْعِبْرَةَ بِالْعَوَاقِبِ"([6])، وهو مع هذا لا يخرج عن معنى : ما كان مرغوباً فيه ومنتفعاً به.

مفهوم العمل الخيري :

لم يرد مصطلح العمل الخيري بهذا التركيب الإضافي في كتب الأقدمين، وهو لا يعني غياب مدلوله، فكل ما يحقق مصالح الناس ولا يخالف شرع الله تعالى فهو خير، وقد

---

١) العمل الخيري وآثاره الاقتصادية-حالة فلسطين الداخل عام(١٩٤٨م)،رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، سنة(٢٠١٢م) للباحث: أنس إغبارية، ص(٤).

٢) سورة الصافات ، الآية ٩٦.

٣) الفروق اللغوية،أبو هلال العسكري (المتوفى: ٣٩٥هـ)(١/ ١٣٤-١٣٥) بتصرف ، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، طبعة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي(١/١٨٥)، طبعة:المكتبة العلمية – بيروت.

٥) لسان العرب، ابن منظور(٤/٢٦٤)، طبعة : دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة: الأولى سنة(١٩٨٨م).

٦) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور(المتوفى: ١٣٩٣هـ)(٢٠/١٠٢)، طبعة: الدار التونسية للنشر– تونس، سنة(١٩٨٤م).

ع فه بعضهم بأنه "النفع المادي أو المعنوي الذي يقدمه الإنسان لغيره دون أن يأخذ عليه مقابلاً مادياً بهدف إقامة المصالح المعتبرة شرعًا "(١)
ويشمل أيضاً: "أنواع البر وصنائع المعروف التي يجود بها المجتمع المدني بدءً بالفرد ومروراً بالجماعة وانتهاءً إلى المؤسسة،بما فيه من جلب الموارد وإدارة المال وصرفه في الوجوه المشروعة، وكذا التخطيط لسبل الإنماء والتطوير،بما يتاح من برامج ثقافية ودعوية وإعلامية"(٢)، والمقصود به هنا في مجال البحث: صور العون المادي والمعنوي الذي تقوم به الأفراد، أو تقدمه المؤسسات المعتمدة والقنوات الشرعية المعتبرة للمساهمة في تقدم الأفراد والمجتمعات نحو مراقي العلا والكمالات الإنسانية المختلفة.

تع ي ل ه لسلبية

كلمة الظواهر جمع ظاهرة وأصل مادتها الدلالة على "القوّة والبروز، ومن ذلك: ظَهَرَ الشيءُ يظهرُ ظهوراً فهو ظاهر، إذا انكشفَ وبرزَ،ولذلك سمِّيَ وقت الظُّهر والظَّهيرة، وهو أظهر أوقات النّهار وأضْوَؤُها، والأصل فيه كلّه ظهر الإنسان، وهو خلافُ بطنه، وهو يجمع البُروزَ والقوّة"(٣)، وسميت بذلك لأنها:هي الشيئ البين الواضح ظهوره، و"ظهر الشئ ظهورًا: تبَّين، وظهَرتُ على الرجل:غلبتُه، وأظهرت بفلان: أعلنت به، وأظهرتُ الشئ: بيَّنتُه"(٤)، ومن مادة ظهر اشتُقت كلمة الظاهرة، وفيها معنى القوة والبروز والغلبة إذا كثُر عدد أفرادها، والظهور إذا كانت معروفة مشتهرة بين الناس

لسلبية نسبة لى لسل ، ه : "أخْذُ الشَيء بخفّة واختطاف، يقال: سلبتُهُ ثوبَهُ سلْباً"(٥).

معنى ل ه لسلبية على ه : الأمور العامة الواضحة الظهور التي تظهر على الناس وتنتشر فيهم فتأخذُ بأبصارهم ونفوسهم إليها، والتي تسلبهم الترقي في

---

١) يراجع في ذلك: العمل الخيري وأثره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي "دراسة حالة قطاع غزة" ، رسالة مقدمة للحصول على درجة التخصص الماجستير في كلية التجارة بالجامعة الإسلامية بغزة للباحث محمد إبراهيم أبو عليان ص(٥٠) ، سنة (١٤٣٥هـ-٢٠١٤مـ)، العمل الخيري في ضوء القواعد المقاصدية، د/ تمام عودة العساف، د/ محمد حسن أبو يحيى، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية ص (٨٥)، المجلد الثامن، العدد (٣)، سنة(١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).
٢) قواعد الوسائل وأثرها في تنمية العمل الخيري، قطب الريسوني، بحث مقدم في مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث دبي (٢٠٠٨م) ص(٧).
٣) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٤٧١/٣)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة: دار الفكر، سنة (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).
٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري(٧٣٢/٣)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، طبعة: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة (١٤٠٧هم).
٥) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(٩٣/٣).

الكمالات الإنسانية، فوجه كونها ظاهرًة هو وضوحُها وظهورُها في المجتمع، ووجهُ كونها سلبيًّة أنها تسلبُ منتسبيها والبيئة الكائنة فيها الكمالات والترقي نحو الفضائل، وقد اصطفيتُ في هذا البحث بعض هذه الظواهر العامَّةِ في بعض المجتمعات، وصور العمل الخيري للقضاء عليها.

المبحث الأول

العمل الخيري (دوافعه وفضله)

لقد حرص الإسلام على تربية المسلم على الفضائل الرفيعة والأخلاق الحميدة، كما شدَّدَ على أهمية بناء الإنسان الصالح الذي يحب الخير لغيره ، ويسعى في تقديمه له، وفي سبيل ذلك دعاه إلى التمسك بمعاني العطاء والبذل مثل الإيثار والتعاون ومراعاة الأخوة وتوفُّر المحبة، والأمر بفعل الخير ودعوة الآخر إليه، والنهي عن إتيان الشر والتحذير منه، وأخبره أنَّ هذا مركوزٌ بالطبع في أصحاب الفِطر السليمة

يعبر عن هذا المعنى الإمام الطاهر ابن عاشور عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١) فيقول: "لَمَّا أَظْهَرَ اللهُ لَهُمْ نِعْمَةَ نَقْلِهِمْ مِنْ حَالَتَيْ شَقَاءٍ وَشَنَاعَةٍ إِلَى حَالَتَيْ نَعِيمٍ وَكَمَالٍ، وَكَانُوا قَدْ ذَاقُوا بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ الْأَمَرَّيْنِ ثُمَّ الْأَحْلَوَيْنِ، فَحَلَبُوا الدَّهْرَ أَشْطَرَيْهِ، كَانُوا أَحْرِيَاءَ بِأَنْ يَسْعَوْا بِكُلِّ عَزْمِهِمْ إِلَى انْتِشَالِ غَيْرِهِمْ مِنْ سُوءِ مَا هُوَ فِيهِ إِلَى حُسْنَى مَا هُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً خَيِّرَةً. وَفِي غَرِيزَةِ الْبَشَرِ حُبُّ الْمُشَارَكَةِ فِي الْخَيْرِ لِذَلِكَ تَجِدُ الصَّبِيَّ إِذَا رَأَى شَيْئًا أَعْجَبَهُ نَادَى مَنْ هُوَ حَوْلَهُ لِيَرَاهُ مَعَهُ"(٢).

كما دعاهم أيضًا إلى تحقيق التكافل الاجتماعي والتضافر الإنساني من خلال نظام شامل متكامل قِوامُهُ الأساس أنَّ الناسَ جميعًا مهما اختلفت أجناسُهُم وفئاتُهُم انحدروا من أبٍ واحدٍ وأمٍ واحدةٍ فقال سبحانه: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٣)

وقد انحدر من هذا الاتحاد العام بين بني الإنسان اتحادٌ آخر هو الأخوة الإيمانية التي صوَّرها َ القرآن الكريم في أجمل تصوير وأصدقه بقوله تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٤)

---

١) سورة آل عمران ، الآية (١٠٤).
٢) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور(٣٦/٤).
٣) سورة الحجرات، الآية رقم (١٣).
٤) سورة الحجرات، الآية رقم(١٠).

كما صوَّرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المجتمع بالجسد الواحد، وذلك فيما جاء عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى»(١) وفي هذه الأحاديث ونظائرها ما يُشعرُ بحقوق الجماعة على الفرد وواجبات الفرد نحو الجماعة، ما يحقق معنى التماسك والتكافل والتناصر وغير ذلك من المعاني والقيم الإنسانية النبيلة، قال الإمام النووي رحمه الله: " هذه الاحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه"(٢) -

ه فع لعمل لخي في لإسلا مايلي:

أ.إحياء رابطة الأخوة في الله تعالى:

وهي من أوثق الروابط وأقواها، حيث تجمع هذه الرابطة بين المسلمين على أساس المحبة والترابط، والانصهار معًا في بوتقة الإيمان الذي يقوي العلاقات المشروعة ويأبى الانفصال والانفكاك بين أفراد الجماعة الواحدة، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٣)

"وقد سَمَّاهُمْ إِخْوَةً مُؤْمِنِينَ مَعَ كَوْنِهِمْ بَاغِينَ، فدلَّ على أن الأخوة والإيمان لا يُنتزعان إلا بموجب شرعي ، يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رُوِيَ عَنْ الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أبي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُئِلَ فِي قِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ عَنْ أَهْلِ الْجَمَلِ وَصِفِّينَ: أَمُشْرِكُونَ هُمْ؟ فَقَالَ: لَا مِنَ الشِّرْكِ فَرُّوا، فَقِيلَ: مَنَافِقُونَ هُمْ؟ فَقَالَ: لَا إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا، قِيلَ: فَمَا حَالُهُمْ؟ قَالَ: إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا"(٤)

ويترتب على هذه الأخوة ذوبان عصبيات الجاهلية وسقوط فوارق النسب واللون والوطن فصارت العقيدة هي الرابط الأقوى والعاصم الأشد.

ب. تحقيق معنى الإيثار:

حيث يقدم الإسلام أسمى صور التكافل الاجتماعي حين يأمر المسلم بإيثار أخيه على نفسه ولو كان أكثر فقرًا وحاجةً منه، وقد ذكر النموذج العامَ المُشَرِّف في ذلك حين

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ (١٠/٨)(٦٠١١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ (١٩٩٩/٤)(٢٥٨٦) بلفظ مثل المؤمنين بدلًا من قوله ترى المؤمنين.

٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي(١٣٩/١٦)، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة :الثانية ، (١٣٩٢ه)

٣) سورة الحجرات، الآية رقم (١٠).

٤) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، باب الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْفِئَةَ الْبَاغِيَةَ مِنْهُمَا لاَ تَخْرُجُ بِالْبَغْيِ عَنْ تَسْمِيَةِ الإِسْلاَمِ (١٧٣/٨)(١٧١٥٨)،وابن أبي شيبة في مصنفه(٢٥٥/١٥)(٣٨٩١٨)، وأورده البغوي في تفسيره، يُرَاجَع:(معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي) (المتوفى : ٥١٠هـ) (٢٩٥/٤)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة : الأولى (١٤٢٠هـ).

مدح جماعة الأنصار الذين آثروا إخوانهم المهاجرين بالفضل والعطاء، حتى كُفِيَتْ الحاجة، وسُدَّتْ الغُلَّة وقام المجتمع المسلمُ خيرَ قيام، فعن طريق ذلك العمل الخيري العام تأسست الدولة، واتحدت عناصرها وارتفعت رايتها، قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١)

وقد نقل الحافظ ابن كثير صورةً حيَّة من هذه اللُحمةِ وذلك التآلف والتناغم بين فئات هذا المجتمع فقال: "قَالَ الْإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا يَزِيد حَدَّثَنَا حُمَيْد عَنْ أَنَس قَالَ : قَالَ الْمُهَاجِرُونَ يَا رَسُول اللَّه مَا رَأَيْنَا مِثْل قَوْم قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ أَحْسَن مُوَاسَاة فِي قَلِيل وَلَا أَحْسَن بَذْلًا فِي كَثِير، لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤْنَة وَأَشْرَكُونَا فِي الْمُهَنَّأ، حَتَّى لَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلّه، قَالَ: "لَا مَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ وَدَعَوْتُمْ اللَّه لَهُمْ"(٢).

ت.قضاء حوائج الآخرين:

فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يتفاوت الأفراد فيما بينهم من حيث القدرات العقلية والجسدية والأرزاق والأعمار، وغير ذلك من الأمور، يقول الله تعالى:﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾(٣)

أي: "فضلنا بين الخلق في الرزق والعيش، وجعلناهم مراتب: هذا غني، وهذا فقير، وهذا متوسط الحال، ليكون كلٌ منهم مسخراً للآخر، ويخدم بعضهم بعضاً، لينتظم أمر الحياة، ولينتفع بعضهم ببعض، ولو كانوا سواءً في جميع الأحوال لم يخدم أحدٌ أحداً، فيفضي إلى خراب العالم وفساد نظامه"(٤)، وهو باب من أبواب رحمته تعالى بخلقه، حيث جعل حاجات بعضهم عند بعض ليتفقد بعضهم بعضًا فيألفون ويُؤلفون ، ثم جعل أفضلهم من قضى لأخيه حاجته وروى غلته وسد جوعته، كما في الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ ، فَقَالَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ يَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَئِنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ لَوْ شَاءَ أَنْ

---

١) سورة الحشر، الآية رقم(٩).

٢) البداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير (٢٢٨/٣) طبعة : مكتبة المعارف - بيروت

٣) سورة الزخرف، من الآية رقم (٣٢).

٤) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني(١٤٥/٣)، طبعة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِضًى، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ يَقْضِيهَا لَهُ، ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ» (١)

قال المناوي: "إدخالك السرور على أخيك المسلم بنحو بشارة بإحسان أو إتحاف بهدية أو تفريج كرب عن نحو معسر أو إنقاذ محترم من ضرر، ونحو ذلك، لأن الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله"(٢)

ولا شك أن من أهم هذه الحوائج التي تُدخلُ بقضائها السرور على نفس المسلم أن تساعده على التخلص من فقرٍ أو جهلٍ أو مرضٍ، أو أن تساهم في تعليمه وتدريبه، أو تقديم الرعاية الصحية، أو النصح والإرشادَ له، أو أن تساعده في إيجادِ فرصة عملٍ، أو تقديم قرضٍ حسن، وهي كلها أبوابٌ عظيمة للتخلص من التخلف من جهة، والعمل على تحقيق التنمية من جهة أخرى.

ث.التأكيد على معنى التعاون الصادق على البر والتقوى:

ففي صور العمل الخيري التي يمارسها الأفراد وتشترك فيها تلك المؤسسات المجتمعية يتحقق معنى التعاون على البر والتقوى، ونبذ التعاون على الإثم والعدوان، وقد ورد الأمر بذلك والتأكيد عليه في قول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(٣)

والمقصود هو التعاون على جميع أنواع البر والمعروف الذي يساهم في بناء الجماعة المسلمة، ونبذ التعاون على كل شر ومنكر يضعف من قوة الصف ويفرق الكلمة.

وفي الآية تشجيع على جماعية العمل الخيري وبيان لمدى أثرها في بناء الجماعة، "وهذا من جوامع الكلم الشامل لكل معروف ومنكر وكل خير وشر، فالقرآن يأمرنا بالتعاون على كل ما ينفع الأمة في دينها ودنياها، ولا شك أن هذا مبدأ اجتماعي خيِّر، فالأمم وقد تكاثرت أفرادها وتشعبت اتجاهاتها، وتعددت مصالحها، أصبح لا يؤثر فيها مجهود الفرد مهما كان قويا، بل لا بد من تعاون غيره وتسانده معه، ومن ثم كانت الجمعيات الدينية والتكتل للخير من أقوى دعائم النجاح والفلاح في هذا العصر، وقد كان المسلمون في العصر الأول يتعاونون على البر والتقوى بدون حاجة إلى تكتل وارتباط لأن الكل مرتبط بعهد الله وميثاقه، أما نحن اليوم ففي أشد الحاجة إلى توحيد الاتجاهات حتى تأتى الدعوة إلى الله بثمرها الطيب "(٤)

---

١) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (١٣٩/٦)(٦٠٢٦)، والحديث حسن لغيره، يُرَاجَع: صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، (٣٥٩/٢)(٢٦٢٣)، طبعة: مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة : الخامسة.

٢) التيسير بشرح الجامع الصغير، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي (٧١٢/١)، طبعة: مكتبة الإمام الشافعي - الرياض – (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، الطبعة: الثالثة.

٣) سورة المائدة، من الآية رقم (٢).

٤) التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، (٤٧٦/١)، طبعة: دار الجيل الجديد – بيروت الطبعة: العاشرة (١٤١٣هـ).

وفي السنة النبوية المطهرة ما يؤكد ضرورة هذا التعاطف والتعاون في بناء المجتمع المتماسك، ففي الصحيحين عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ(١) وَ تَوَادِّهِمْ(٢) وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى"(٣)

ومن لطائف هذا الحديث الشريف: أنَّ فيه حثَّ الناس على التقارب والتآلف بألفاظٍ مختلفة، قد تُرَى في الظاهر متقاربة المعنى، وقد نقل ابن حجر في كتابه فتح الباري خلافَ ذلك، فقال: "الَّذِي يَظْهَر أَنَّ التَّرَاحُم وَالتَّوَادُد وَالتَّعَاطُف وَإِنْ كَانَتْ مُتَقَارِبَة فِي الْمَعْنَى لَكِنْ بَيْنَهَا فَرْق لَطِيف، فَأَمَّا التَّرَاحُم فَالْمُرَاد بِهِ أَنْ يَرْحَم بَعْضهمْ بَعْضًا بِأُخُوَّةِ الْإِيمَان لَا بِسَبَبِ شَيْء آخَر، وَأَمَّا التَّوَادُد فَالْمُرَاد بِهِ التَّوَاصُل الْجَالِب الْمَحَبَّة كَالتَّزَاوُرِ وَالتَّهَادِي ، وَأَمَّا التَّعَاطُف فَالْمُرَاد بِهِ إِعَانَة بَعْضهمْ بَعْضًا كَمَا يَعْطِف التَّوْب عَلَيْهِ لِيُقَوِّيَهُ"(٤) فكأنَّ الحديثَ الشريفَ قد أمرَ بطرْق كلَّ بابٍ من أجل المحافظة على هذا التماسك العام والوحدة الشاملة.

- عاية لمصالح لعامة.

وإنما يُنظرُ للعملِ الخيري ويُحكَمُ عليه باعتبار المقصد العام منه، والدوافع التي تأمرُ به وتُشجِّعُ عليه، ومدى منفعة هذه الدوافع للمصالح العامة المشروعة أو ضررها بها، إذ الأصلُ في ممارسة العمل الخيري هو القيام بالمصالح العامة وتحقيقها، وتعطيل المفاسد وتنحيتها

<u>ويتفرع عن ذلك:</u> القيام بمصالح فئات معينة نص عليها الشارع الحكيم، والارتقاء ببعض ذوي الحاجات من خلال: "تحقيق كفايتهم وسد خلاتهم وإغنائهم، ويتحقق ذلك بتفعيل الدور الرائد الذي يتصدره العمل الخيري لخدمة كافة الفئات والتي يعود أثرها على المجتمع بأسره، مما يندرج ضمن مقاصد الشريعة"(٥).

ومن اللافت للنظر في ذلك: مراعاةُ الشريعة الإسلامية لجميع الطوائف دون جَوْرٍ أو حيف فإقامة مصالح ضعفاء المسلمين وقضاء حوائجهم لا يبلُغُ مقصدَهُ إلا إذا كان

---

١) التراحم فيه معنى الرقة والعطف والرحمة، ويقال من ذلك: رحمه يرحمه إذا رقَّ له وتعطَّف وتراحَم القومُ : رحم بعضُهم بعضًا (معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ٤٩٨/٢)، (مختار الصحاح ١٠٠/١)

٢) الودُّ: الحبُّ، يقال: وددتُّ الرجلَ أودُّهُ وُدًّا إذا أحببتُهُ (النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٦٥/٥)

٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ(١٠/٨)(٦٠١١) ومسلم في صحيحه، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ(١٩٩٩/٤)(٢٥٨٦) بلفظ تَرَىْ المؤمنين

٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (٤٣٩/١٠) ، طبعة: دار المعرفة - بيروت ، (١٣٧٩ه).

٥) العمل الخيري في ضوء القواعد المقاصدية،ص(٨٥).

الإنفاقُ بمقاديرَ لها بالُ وبصورةٍ دائمةٍ وعامةٍ، حيث يقولُ اللهُ تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

قال العلامة الطاهر بن عاشور: " وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمَرْءَ يُنْفِقُ عَلَيْهِمْ مِمَّا اسْتَفْضَلَهُ مِنْ مَالِهِ، وَهَذَا أَمْرٌ بِإِنْفَاقٍ لَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا أَفْضَلُ الْإِنْفَاقِ، لِأَنَّ مَقْصِدَ الشَّرِيعَةِ مِنَ الْإِنْفَاقِ إِقَامَةُ مَصَالِحِ ضُعَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يَحْصُلُ مِنْهُ مِقْدَارٌ لَهُ بَالٌ إِلَّا بِتَعْمِيمِهِ وَدَوَامِهِ، وَإِنَّمَا يَحْصُلُ التَّعْمِيمُ وَالدَّوَامُ بِالْإِنْفَاقِ مِنَ الْفَاضِلِ عَنْ حَاجَاتِ الْمُنْفِقِينَ، فَحِينَئِذٍ لَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ فَلَا يَتْرُكُهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَلَا يُخِلُّونَ بِهِ فِي وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِهِمْ، وَهَذِهِ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ وَأَصْلٌ اقْتِصَادِيٌّ عُمْرَانِيٌّ"(٢)

ويُؤَكِدُهُ ما جاء فِي الْحَدِيثِ: عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»(٣)، فَإِنَّ الْبَدَاءَةَ بِمَنْ يَعُولُ ضَرْبٌ مِن الْإِنْفَاق، لِأَنَّهُ إِنْ تَرَكَهُمْ فِي خَصَاصَةٍ احْتَاجُوا إِلَى الْأَخْذِ مِنْ أَمْوَالِ الْفُقَرَاءِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الوَجَعِ وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلاَ يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «لاَ» فَقُلْتُ: بِالشَّطْرِ؟ فَقَالَ: «لاَ» ثُمَّ قَالَ: «الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ - أَوْ كَثِيرٌ - إِنَّكَ أَنْ تَدَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ»(٤) ومعنى يتكففون: أيْ يَمُدُّونَ أَكُفَّهُمْ لِلسُّؤَالِ"(٥)

ولا شكَّ أنَّ في هذا مراعاة للجانبين معًا فيحدثُ التوازنُ والتناسقُ في المجتمع فلا تميلُ كفةٌ على أخرى، سيَّما إذا فُهِمَ المرادُ من قوله سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ على الإنفاق المادي والمعنوي معًا، فلا يسعى المنفقُ في إصلاح الآخرين، وهو ومَنْ في كفالته محاويج.

---

١) سورة البقرة، من الآية رقم (٢١٩).

٢) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور(٣٥١/٢).

٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الزَّكَاةِ ، بَابُ لاَ صَدَقَةَ إِلَّا عَنْ ظَهْرِ غِنًى(١١٢/٢)(١٤٢٦)، وفي كِتَابِ النَّفَقَاتِ، بَابُ وُجُوبِ النَّفَقَةِ عَلَى الأَهْلِ وَالعِيَالِ (٦٣/٧)(٥٣٥٦)، ومسلم في صحيحه، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَأَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ وَأَنَّ السُّفْلَى هِيَ الْآخِذَةُ (٧١٧/٢) (١٠٣٤) عن حكيم بن حزام بلفظ : أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَوْ خَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ"

٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الوَصَايَا، بَابُ أَنْ يَتْرُكَ وَرَثَتَهُ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَكَفَّفُوا النَّاسَ(٣/٤)(٢٧٤٢)، وفي كِتَابِ النَّفَقات، بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الأَهْلِ (٦٣/٧)(٥٣٥٤)، ومسلم في صحيحه، كِتَابُ الْوَصِيَّةِ، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالثُّلُثِ (١٢٥٠/٣)(١٦٢٨)

٥) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن عاشور (٣٥١/٢).

وبهذا فإنه لا يعتمد- في الأصل-على تحقيق أي مردودٍ مادي أو أرباح خاصة لفئةٍ معينة من الناس؛ بل يعتمد على تقديم مجموعةٍ من الخدمات الإنسانية للأفراد المُحتاجين لها، بهدف تحقيق الخير، ونشر التكافل والتَضامن الاجتماعي، ما يُؤدي إلى تَعزيز دور القيم الدينية والأخلاق الحميدة في النهوض بالمجتمعات.

فضل لعمل لخي

يعد العمل الخيري من أنبل الأعمال الإنسانية، ومن أرقى التشريعات الإسلامية، وذلك لما فيه من تحقيق النفع العام للأفراد والمجتمعات، لهذا ولغيره حرص الإسلام على:

لا: ع لنا ليه تشجيعه عليه.

أمر الله تعالى بفعل الخير مع أمره بالركوع والسجود لذاتِهِ سبحانه، ووعد صاحبه الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة، ويكفي هنا أن نذكر إيراد القرآن الكريم له بعد الأمر بالركوع والسجود وعموم العبادة، فقال سبحانه ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١) وفي الآية الكريمةِ:

١- الحث على الفعل بنداء الإيمان ما يدل على كونه أحد مقتضياته.

٢- جماعية الخطاب في الأمر بذلك ما يوحي بالحث على وجوب الحرص على المؤسسية في عمل الخير، وتنسيق مجالاته.

٣- إطلاق فعل الخير وتعميم إيراده وشموله كل مجال دون تحديد أو تقييد دلالة على تنوعه وتعدد صوره حسب احتياج المجتمعات، و"قَوْلُهُ: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ أَمْرٌ بِإِسْدَاءِ الْخَيْرِ إلَى النَّاسِ مِنَ الزَّكَاةِ، وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ كَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَسَائِرِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ"(٢)

٤-الترقي في المأمورات، فقد بدأ بالأمر بالركوع، وثنى بالأمر بالسجود وكلاهما نوع من العبادة، ثم ارتقى بهم إلى فعل الخيرات فكأن ذلك نتاج الركوع والسجود والإخلاص في العبادة، فمن أخلص في عبادة الله أحسن إلى عبيده.

يقول الرازي: "فِعْلُ الْخَيْرِ يَنْقَسِمُ إلَى خِدْمَةِ الْمَعْبُودِ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ التَّعْظِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ وَإِلَى الْإِحْسَانِ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الشَّفَقَةِ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ وَيَدْخُلُ فِيهِ الْبِرُّ وَالْمَعْرُوفُ وَالصَّدَقَةُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَحُسْنُ الْقَوْلِ لِلنَّاسِ، فَكَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَالَ: كَلَّفْتُكُمْ بِالصَّلَاةِ، بَلْ كَلَّفْتُكُمْ بِمَا هُوَ أَعَمُّ مِنْهَا وَهُوَ الْعِبَادَةُ، بَلْ كَلَّفْتُكُمْ بِمَا هُوَ أَعَمُّ مِنَ الْعِبَادَةِ وَهُوَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ"(٣).

---

١) سورة الحج ، الآية ٧٧.

٢) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور (٣٤٦/١٧).

٣) مفاتيح الغيب ،أبو عبد الله محمد فخر الدين الرازي(المتوفى: ٦٠٦هـ)(٣٥٤/٢٣)، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة(١٤٢٠هـ).

٥-تحديد الجزاء المباشر وهو وقوع الفلاح في الدنيا بتوائم فئات المجتمع ، وفي الآخرة بأمان العذاب يوم القيامة، يقول الشيخ السعدي في تفسيره: "وعلق تعالى الفلاح على هذه الأمور فقال:﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: تفوزون بالمطلوب المرغوب، وتنجون من المكروه المرهوب، فلا طريق للفلاح سوى الإخلاص في عبادة الخالق، والسعي في نفع عبيده، فمن وفق لذلك، فله القدح المعلى من السعادة والنجاح والفلاح"(١)

٦- في ذكر المجاهدة لذلك ما يؤكد بذل الجهد لفعله، فقد جاء بعد الأمر بفعل الخيرات قوله سبحانه :﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(٢) "قِيلَ: الْمُرَادُ بِالْجِهَادِ هُنَا امْتِثَالُ مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، أَوِ امْتِثَالُ جَمِيعِ مَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ عَلَى الْعُمُومِ، وَمَعْنَى حَقَّ جِهادِهِ الْمُبَالَغَةُ فِي الْأَمْرِ بِهَذَا الْجِهَادِ لِأَنَّهُ أَضَافَ الْحَقَّ إِلَى الْجِهَادِ، وَالْأَصْلُ إِضَافَةُ الْجِهَادِ إِلَى الْحَقِّ، أَيْ: جِهَادًا خَالِصًا لِلَّهِ فَعَكَسَ ذَلِكَ لِقَصْدِ الْمُبَالَغَةِ ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ اسْتِفْرَاغُ مَا فِي وُسْعِهِمْ فِي إِحْيَاءِ دِينِ اللَّهِ"(٣)

ثانيا: عتبا م ب ل جبا ل ع ية

قرن الله تعالى فعل الخيرات والدعوة إليها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأمَرَ بالالتزام بهذا، وعلى الأمة أن توفر لذلك الجماعة التي تقوم به وتعمل بمقتضياته، يقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٤)

وفيها الأمر بدعوة الناس إلى الخير وبذله بصيغة الحث والإلزام، قال الطاهر بن عاشور: "وَصِيغَةُ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ صِيغَةُ وُجُوبٍ لِأَنَّهَا أَصْرَحُ فِي الْأَمْرِ مِنْ صِيغَةِ افْعَلُوا لِأَنَّهَا أَصْلُهَا. فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ غَيْرَ مَعْلُومٍ بَيْنَهُمْ مِنْ قِبَلِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، فَالْأَمْرُ لِتَشْرِيعِ الْوُجُوبِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ حَاصِلًا بَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلُ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾(٥) فَالْأَمْرُ لِتَأْكِيدِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ وَوُجُوبِهِ، وَفِيهِ زِيَادَةُ الْأَمْرِ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الْخَيْرِ"(٦)

---

١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،عبد الرحمن السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) (٥٤٦/١)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، طبعة: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى(١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

٢) سورة الحج ، من الآية (٧٨).

٣) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني(المتوفى: ١٢٥٠هـ)(٥٥٦/٣)، طبعة: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤١٤هـ)

٤) سورة آل عمران ، الآية (١٠٤).

٥) سورة آل عمران ، من الآية رقم(١١٠).

٦) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور(٣٧/٤).

ثالثا تيسير حساب صاحبه يوم القيامة.

ييسِّر المعطي على عموم خلق الله تعالى، ولأنَّ الجزاء من جنس العمل فإنَّ الله تعالى ييسر له أمره في الدنيا والآخرة، وهو المعنى الواضح لقول اللهِ تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾(١)

"قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يَعْنِي مَنْ أَعْطَى فِيمَا أَمِرَ وَاتَّقَى فِيمَا حُظِرَ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى يَعْنِي بِالْخَلَفِ مِنْ عَطَائِهِ"(٢)

وقيل: "سَادَاتُ النَّاسِ : فِي الدُّنْيَا الْأَسْخِيَاءُ وَفِي الْآخِرَةِ الْأَتْقِيَاءُ ، وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ : الْجُودُ عَنْ مَوْجُودٍ ، وَقِيلَ فِي الْمَثَلِ : سُؤْدُدٌ بِلَا جُودٍ ، كَمَلِكٍ بِلَا جُنُودٍ ، وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْجُودُ حَارِسُ الْأَعْرَاضِ، وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ : مَنْ جَادَ سَادَ ، وَمَنْ أَضْعَفَ ازْدَادَ ، وَقَالَ بَعْضُ الْفُصَحَاءِ : جُودُ الرَّجُلِ يُحَبِّبُهُ إِلَى أَضْدَادِهِ ، وَبُخْلُهُ يُبَغِّضُهُ إِلَى أَوْلَادِهِ ، وَقَالَ بَعْضُ الْفُصَحَاءِ : خَيْرُ الْأَمْوَالِ مَا اسْتُرِقَّ حُرًّا ، وَخَيْرُ الْأَعْمَالِ مَا اسْتَحَقَّ شُكْرًا"(٣)

بعا بقا جـ بع لم .

جعلت الشريعة الإسلامية الأعمال الخيرية التي يعم الانتفاعُ بها ويبقى أثرُها من الحسنات التي تجري لصاحبها وهو في قبره، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ "(٤)

وفي معنى الحديث قال الإمام النووي: "مَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ عَمَل الْمَيِّت يَنْقَطِع بِمَوْتِهِ، وَيَنْقَطِع تَجَدُّد الثَّوَاب لَهُ ، إِلَّا فِي هَذِهِ الْأَشْيَاء الثَّلَاثَة ؛ لِكَوْنِهِ كَانَ سَبَبهَا ؛ فَإِنَّ الْوَلَد مِنْ كَسْبه ، وَكَذَلِكَ الْعِلْم الَّذِي خَلَّفَهُ مِنْ تَعْلِيم أَوْ تَصْنِيف ، وَكَذَلِكَ الصَّدَقَة الْجَارِيَة ، وَهِيَ الْوَقْف، وَكَذَلِكَ الصَّدَقَة ، وَهُمَا مُجْمَع عَلَيْهِمَا ، وَكَذَلِكَ قَضَاء الدَّيْن"(٥)

خامسا جعلُ الجزاء الأخروي عليه بجنس عمله في الدنيا

جاء في السنة النبوية المطهرة ربط الجزاء الأخروي على أعمال التطوع والخير في الدنيا بمثيلها، ومن ذلك

---

١) سورة الليل، الآيات من (٥-١٣)

٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى:٤٥٠هـ) (١٨٤/١)، طبعة: دار مكتبة الحياة، سنة (١٩٨٦م).

٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الْوَصِيَّةِ، بَابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ (١٢٥٥/٣)(١٦٣١)

٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (٨٥/١١).

ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ"(١)

قال الإمامُ النووي رحمه الله: "وَفِيهِ : فَضْل قَضَاء حَوَائِج الْمُسْلِمِينَ ، وَنَفْعهمْ بِمَا تَيَسَّرَ مِنْ عِلْم أَوْ مَال أَوْ مُعَاوَنَة أَوْ إِشَارَة بِمَصْلَحَةٍ أَوْ نَصِيحَة وَغَيْر ذَلِكَ ، وَفَضْل السَّتْر عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ سَبَقَ تَفْصِيله ، وَفَضْل إِنْظَار الْمُعْسِر"(٢)

وهو بعض ما يتفرع عن عموم قوله سبحانه:﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾(٣)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ(٤) وَلَا يُسْلِمُهُ(٥) ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ(٦)عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً(٧) فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(٨)

وقد فسَّرَ الحافظ ابن حجر هذه الأخوة ومقتضياتِها فقال: "هَذِهِ أُخُوَّة الْإِسْلَام ، فَإِنَّ كُلَّ اِتِّفَاق بَيْنَ شَيْئَيْنِ يُطْلَقُ بَيْنَهُمَا اِسْمَ الْأُخُوَّةِ ، وَيَشْتَرِكُ فِي ذَلِكَ الْحُرُّ وَالْعَبْد وَالْبَالِغ وَالْمُمَيِّز، و قَوْله : "لَا يَظْلِمُهُ" هُوَ خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْر فَإِنَّ ظُلْم الْمُسْلِم لِلْمُسْلِمِ حَرَام ، وَقَوْله : " وَلَا يُسْلِمُهُ" أَيْ لَا يَتْرُكُهُ مَعَ مَنْ يُؤْذِيه وَلَا فِيمَا يُؤْذِيه ، بَلْ يَنْصُرُهُ وَيَدْفَعُ

---

١) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب الذِّكْر وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَار، بَاب فَضْل الِاجْتِمَاع عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآن وَعَلَى الذِّكْر(٤/٢٠٧٤) (٢٦٩٩)

٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (٢١/١٧).

٣) سورة الرحمن، الآية رقم (٦٠).

٤) يظلمه: ظلم ظلمًا ومظلمة جار وجاوز الحد ، وقيل: وضع الشيئ في غير موضعه،(انظر: غريب الحديث ، ابن قتيبة ٤٨٤/١)، (لسان العرب٣٧٣/١٢)، (المعجم الوسيط٥٧٧/٢).

٥) يسلمه: يقال أسْلَمَ فُلانٌ فُلاناً إذا ألقاه إلى الهلكة ولَمْ يَحْمه مِنْ عدُوِّه ، يُراجَع: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) (٣٩٤/٢) ، طبعة: المكتبة العلمية - بيروت، (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).

٦) فرَّجَ: الفرج: انكشاف الكرب وذهاب الغم ، وقد فرَجَ اللهُ وفرَّجَ عنه فانفرجَ وتفرَّجَ (لسان العرب٣٤٣/٣)

٧) كُرْبَة: الكرب: الحُزْنُ والغَمُّ الذي يأخذُ بالنَّفْس وجمعه كُرُوبٌ ، والإسم : الكربة (لسان العرب ٧١١/١)

٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْمَظَالِمِ، بَاب لَا يَظْلِمُ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ وَلَا يُسْلِمُهُ (١٢٨/٣) (٢٤٤٢)، ومسلم في كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ (١٩٩٦/٤) (٢٥٨٠)

عَنْهُ، وَهَذَا أَخَصّ مِنْ تَرْك الظُّلْم ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ وَاجِبًا وَقَدْ يَكُونُ مَنْدُوبًا بِحَسَبِ اِخْتِلَاف الْأَحْوَال"(١)

وتأمل قولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ" وما فيها من عمق المعنى ، فلا يكتفي المسلم الصادق بملاحظة الحاجة في أخيه ، بل عليه التعايش معها والولوجَ في أعماقها، كأنها حاجتُهُ هُوْ، والمقصود بكونه في حاجته أيْ: "سَاعِيًا فِي قَضَاءِ حَاجَتِهِ، وَفِيهِ تَنْبِيهٌ نَبِيهٌ عَلَى فَضِيلَةِ عَوْنِ الْأَخِ عَلَى أُمُورِهِ، سَوَاءٌ كَانَ بِقَلْبِهِ أَوْ بَدَنِهِ أَوْ بِهِمَا لِدَفْعِ الْمَضَارِّ أَوْ جَلْبِ الْمَنَافِعِ إِذْ الْكُلُّ عَوْنٌ "(٢).

ومِنْ سعيهِ فيها: "إِعَانَتُهُ عَلَيْهَا، وَلُطْفُهُ بِهِ فِيهَا، .. وفِيهِ: فَضْلُ إِعَانَةِ الْمُسْلِمِ، وَتَفْرِيجِ الْكُرَبِ عَنْهُ، وَسَتْرِ زَلَّاته، وَيَدْخُلُ فِي كَشْفِ الْكُرْبَةِ وَتَفْرِيجِهَا مَنْ أَزَالَهَا بِمَالِهِ أَوْ جَاهِهِ أَوْ مُسَاعَدَته ، وَالظَّاهِرِ أَنَّهُ يَدْخُل فِيهِ مَنْ أَزَالَهَا بِإِشَارَاتِهِ وَرَأْيه وَدَلَالَته"(٣)

مما ينبغي لتنبيه عليه هنا أَنَّهُ لا يتوقف أجر قضاء الحوائج على قضائها للمسلم أو المؤمن أو الأخ فقط كما قد يُفهم من ظاهر الأحاديث، فالأظهر أن يثاب عليه في المؤمن والكافر، وإنما: "أوثر المؤمن لمزيد شرفه وحرمته، فالثواب فيما يُفعل معه من الإحسان آكد، وإلا فالذميّ كذلك، ويلي الذميّ المستأمن الحربي، فالثواب في كُلٍّ أضعف مما قبله، لأنه تابع لمزيد الشرف والاحترام"(٤)

ويدلُّ على ذلك عمومُ قولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحسَانَ على كُلِّ شَيْءٍ"(٥) "وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْعُمُومُ الشَّامِلُ لِلْإِنْسَانِ حَيًّا وَمَيِّتًا، أيْ: كَتَبَ عَلَى النَّاسِ الْإِحْسَانَ لِكُلِّ شَيْءٍ"(٦) وعموم قولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ"(٧) وفيه: "الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم كافرهم ومؤمنهم ولجميع البهائم والرفق بها . وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا ،

---

١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (٩٧/٥).

٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (٥٧٥/٤)، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت

٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (١٣٥/١٦).

٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي البكري (المتوفى: ١٠٥٧هـ) (٣٧/٣)، طبعة : دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الرابعة، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ، بَابُ الْأَمْرِ بِإِحْسَانِ الذَّبْحِ وَالْقَتْلِ، وَتَحْدِيدِ الشَّفْرَةِ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»(١٥٤٨/٣)(١٩٥٥).

٦) تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفورى (٤٢/٤).

٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ (٩/٨)(٦٠٠٩)

فينبغى لكل مؤمن عاقل أن يرغب فى الأخذ بحظه من الرحمة ، ويستعملها فى أبناء جنسه وفى كل حيوان"(١).

سا سا عتبا ه مقتضيا لإيما

فعن أبيْ مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ(٢) بَعْضُهُ بَعْضًا» ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ، أَوْ طَالِبُ حَاجَةٍ، أَقْبَلَ عَلَيْنَا بوَجْهِهِ فَقَالَ: «اشْفَعُوا(٣) فَلْتُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ»"(٤)

فقد ذكر في الحديث الشريف قوة الترابط بين أبناء المجتمع الواحد والعقيدة الواحدة وأنها أشبه بالترابط الحاصل بين لبنات البناء الواحد القوي المتماسك، وأنَّه من بين لبنات هذا الجدار طلب الشفاعة عند الآخرين لقضاء المصالح المشروعة مالم يكن بها بخسٌ ولا ظلمٌ، قال ابن بطَّال: "الشفاعة فى الصدقة وسائر أفعال البر، مرغب فيها، مندوب إليها، وفي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اشفعوا تؤجروا" ، ندب أمته إلى السعى فى حوائج الناس...، ودَلَّ قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء" أن الساعى مأجور على كل حال، وإن خاب سعيه ولم تنجح طلبته"(٥).

وقد دلَّنا الحديثُ الشريفُ أيضًا على وجوب السعي في كل طريق يُقوِّي لبنات التماسك ويشُدُّ منها، قال ابن حجر: "وَفِي الحَدِيث: الْحَضّ عَلَى الْخَيْر بالْفِعْلِ وَبالتَّسَبُّبِ إِلَيْهِ بكُلّ وَجْه ، وَالشَّفَاعَة إِلَى الْكَبِير فِي كَشْف كُرْبَة وَمَعُونَة ضَعِيف ، إِذْ لَيْسَ كُلّ أَحَد يَقْدِر عَلَى الْوُصُول إِلَى الرَّئِيس وَلَا التَّمَكُّن مِنْهُ لِيَلِج عَلَيْهِ أَوْ يُوَضِّح لَهُ مُرَاده لِيَعْرِف حَاله عَلَى وَجْهه ، وَإِلَّا فَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَحْتَجِب"(٦).

وقبل البدء في الحديث عن صور العمل الخيري وأثرها في القضاء على الظواهر السلبية في المجتمع ينبغي أن يُنبَّهَ على أن فعل الخير لا يأخذُ صورة واحدةً لدى

---

١) شرح صحيح البخارى، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي(٢١٩/٩)، طبعة: مكتبة الرشد - السعودية / الرياض ، الطبعة : الثانية(١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)

٢) يشُدُّ: قال ابن فارس في مادة شدَّ: الشين والدال أصل واحد يدل على قوة في الشيئ (معجم مقاييس اللغة ١٧٩/٣).

٣) الشفاعة : كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره ويشفع إليه في معنى طلب إليه، واستشفعه: طلب منه الشفاعة إلى أن قال له: كن لي شافعًا(لسان العرب ١٨٤/٨)

٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ تَعَاوُنِ المُؤْمِنِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا (١٢/٨)(٦٠٢٦) واللفظ له، وعند مسلم في صحيحه، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ،بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»(١٩٩٩/٤) (٢٥٨٥).

٥) شرح صحيح البخارى ، أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي (٤٣٤/٣).

٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني(٤٥١/١٠)

الفرد المسلم ولا الجماعة المسلمة، ولكن أنماطه تتعدد، وتتنوع معها صورُهُ باعتبار حاجات الناس ومطالبهم، وبحسب قدرة فاعل الخير وإمكاناته، فقد يعمل على تحقيق المطالب المادية للإنسان من مأكلٍ ومشربٍ وملبسٍ ومسكنٍ وعلاجٍ، وقد يعملُ على تحقيق المطالب المعنوية له من تعليمٍ وثقافةٍ وفقهٍ في الدينِ وغير ذلك، ويدخل في هذا الإطار تلبية حاجات الإنسان النفسية كإدخال السرور عليه، ومسح دمعته ومعالجة قلقه وهمه، وملء نفسه بمعاني التوكل والثقة بالله ومطاردة شبح اليأس من قلبه ، كما أنَّ المتطوع قد يمنح الخير للفرد، أو للأسرة ، أو يمنحه للمجتمع، وغير ذلك مما سيتضح من خلال الحديث عن صور العمل الخيري على النحو الآتي:

المبحث الثاني

صور العمل الخيري وأثرها في القضاء على ظاهرة البطالة

تعد البطالة واحدة من أخطر المشكلات التي تواجه غالب شعوب الدنيا، سواء في ذلك الشعوب الغنية التي تكفل لها حكوماتُها أمرَ النفقة والمعيشة حتى ولو كانت أياديها متعطلة متبطلة،أم الفقيرة التي لايتوفر لأبنائها الكفالة أو العمل، ولا زالت تلك المشكلةُ تشكل تهديدًا واضحًا للاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والأمني.

والبطالة في اللغة تعني:

١-العطل والتعطل: يقال: بطل الأجيرُ بطالة، أي تعطل،فهو بطال،وبطل الشيئ إذا تلف وتعطل(١)

٢- الكسل والإهمال: ف"البطالة بالكسر:الكسالة المؤدية إلى إهمال المهمات"(٢)

٣-الضياع والخسران: يقال: "بَطل الشيءُ يَبْطُل بُطْلاً وبُطُولاً وبُطْلاناً ذهب ضيَاعاً وخُسْراً فهو باطل ، ويقال: ذهب دَمُه بُطْلاً أي هَدَراً ، والباطل نقيض الحق والجمع أباطيل"(٣)

وهي معان ليست متضاربة، بل بينها التقاء وتعانق، إذ يحكي بعضها حقيقة البطالة وهي العطل والتعطل، وبعضها يحكي بعض أسبابها وهو الكسل والإهمال، وبعضها يحكي بعض عواقبها وهو الضياع والخسران

والمتأمل في هاتيك المعاني يلحظ تعلق مادة بطل بالمذلة والنقصان والمعاني الرديئة، إذ ليس فيما ذُكرَ معنى محمود، وهو ما يضفي تلك الصفة على المنشغل بها.

واصطلاحاً: مصطلح مرادف للعطالة وهو يعني عدم توافر فرص العمل للعمال القادرين عليه، والراغبين فيه والباحثين عنه(٤)

وبمعنى آخر هي: "الحالة التي يكون فيها الشخص قادرًا على العمل وراغبًا فيه، لكنه لا يجد العمل والأجر المناسبين"(٥) ، وقد تكون

---

١) جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي(٣٥٩/١)، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٩٨٧م).

٢)الفروق اللغوية ، أبو أيوب بن موسى الحسيني الكفوري أبو البقاء الحنفي ص(٢٤٧)، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣) لسان العرب ،محمد بن مكرم بن منظور (٥٦/١١)، طبعة : دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى.

٤) معجم مصطلحات القوى العاملة ، د/ أحمد بدوى ، د/ محمد مصطفى ص(٢٢٤)، طبعة مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية (١٩٨٤م).

٥) كيف عالج الإسلام البطالة؟ د/ زيد بن محمد الرماني ص(١١)، هدية مجلة الأزهر لشهر ربيع الآخر (١٤٢١هـ).

١-إجبارية، وهي بطالة المضطر الذي لا حيلة له في إيجاد العمل مع رغبته فيه، وقدرته عليه، وهي بطالة لا اختيار للإنسان فيها، وإنما تُفرَض عليه أويُبتلى بها كما يُبتلى بكافة مصائب الدهر، وذلك لعدم تعلمه مهنة، أو كساد مهنته التي تعلمها وفقد آلتها مع قلة ذات يده، وهذا تجب مساعدته وإعطاؤه كفايته حتى يجد العمل لئلا يموت جوعاً، "فمن اشتد جوعه حتى عجز عن طلب القوت ففرض على كل من علم به أن يطعمه أو يدل عليه من يطعمه صوناً له عن الهلاك،فإن امتنعوا من ذلك حتى مات اشتركوا في الإثم،وإن أطعمه واحد سقط عن الباقين"(١) وإلَّا برأت ذمة الله تعالى ممن أدرك حاله فمنعه وهو يقدر على إعطائه، ففي الحديث: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : «مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَبَرِئَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ، وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعٌ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى"(٢)

٢-اختيارية، وهي بطالة من يقدرون على العمل، ولكنهم يجنحون إلى القعود ويستمرئون الراحة، ويؤثرون أن يعيشوا عالة على غيرهم ، وهؤلاء يأثمون ويحاسبون على ما أعطوا يوم القيامة ولا حظ لهم في الزكاة حيث تزيدهم الزكاة بطالة وتعطل قدرتهم الإنتاجية، وفي الحديث: "لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي"(٣).

يقول الماوردي رحمه الله: "وإذا تعرض للمسألة ذو جَلَدٍ وقوة على العمل ،زجره وأمره أن يتعرض للاحتراف(أي ولي الأمر)،فإن أقام على المسألة عزَّره حتى يقلع عنها..."(٤).

---

١) الاختيار لتعليل المختار،عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي(١٨٧/٤)، تحقيق: عبد اللطيف محمد عبد الرحمن، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)،الطبعة: الثالثة.

٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٣٧/٤)(٤٨٨٠)، وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح، يُرَاجَع: مسند الإمام أحمد بن حنبل(المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، وذكره العلامة ابن حجر في كتابه القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد(٧/١) وردَّ ادعاء البعض وضعَهُ وقال: وَفِي كَوْنِهِ مَوْضُوعًا نَظَرٌ فَإِنَّ أَحْمَدَ وَابْنَ مَعِينٍ وَالنَّسَائِيَّ وَثَّقُوا أَصْبَغَ وَقَدْ أَوْرَدَ الْحَاكِمَ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ طريق أصبغ، يُراجَع: القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) (٧/١)، طبعة: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الأولى، (١٤٠١ه).

٣) أخرجه الترمذي في سننه،كتاب الزكاة، باب :من لا تحل له الصدقة(٤٣/٣)(٦٥٣)، وقال: حديث حسن، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد(٢٥٠/٣)(٤٤٩٨)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح، والمِرَّةُ : القوّةُ والشِدّةُ، والسَّوِيُّ : الصحيحُ الأعضاءِ، يُرَاجَع:(النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الجزري) (٦٦٩/٤)، طبعة: المكتبة العلمية - بيروت ، (١٣٩٩هـ -١٩٧٩م)

٤) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن الماوردي ص(٢٤٨)، طبعة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م).

وتتضاعف تأثيرات البطالة الضارة إذا استمرت لفترة طويلة وخاصة فى أوقات الكساد الاقتصادى، مع كون المتبطل المتعطل عائلاً أو رباً لأسرة، مسؤلاً عن نفقات غيره مُلزَماً بحاجياتهم،حيث تؤدى إلى تصدع الكيان الأسرى وتفكك العلاقات، وإلى إشاعة مشاعر البلادة والاكتئاب و"البحث عن القوت بالطرق غير المشروعة كالسرقة والنهب والغصب والقمار والغش، أو إلى احتراف التسول وسؤال الناس، أو تعوُّد الكسل وهو مقتلة له مضيعة لوقته"(١)

ولا يخفى ما في هذا من الأضرار والمفاسد الأخلاقية والاجتماعية، فضلاً عما تلحقه البطالة في نفس المتبطل من أضرارٍ نفسية، وما تؤدي إليه من "قسوة القلب، وسوء النفس، والحقد على المجتمع وحسد الأغنياء"(٢)

وقبل أن تعاني الدول والمجتمعات منها، وقبل أن يكتوي الواقع الدولي بنارها يئن الإنسان الفقير حين يقف عاجزاً عن إشباع رغباته، وكفاية حاجاته التي لا تُلبَّى إلا عن طريق المال الذي هو نتاج العمل، فيصير بذلك عضواً غيرَ فعَّالٍ في مجتمعه، بل يمثل عبئاً ثقيلاً عليه ، وبدلاً من مساهمته في رفعته يصبح معول هدم لجدرانه، وأداة تقويضٍ لأركانه

لهذا حدد الإسلام السياسات الوقائية، والوسائل العلاجية التي يكون لها دور مهم في معالجة البطالة بصورة مباشرة وغير مباشرة، ومن ذلك:

أولاً: المواجهة الأدبية، وذلك بترسيخ نبذ المجتمع للبطالة واحتقاره لصفتها وترغيبه في إزالتها وتحبيب الأعمال إلى الناس مهما قل شأنها، سيما في المجتمعات الغنية التي يعتقد بعض أثريائها أنَّ العمل لا ينبغي أن يكون إلاَّ عن حاجةٍ فقط، فيقعدون ويكسلون، وكان سيدنا عمر بن الخطاب – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – يقول: "إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول: له حرفة ؟ فإن قالوا : لا سقط من عيني"(٣)، وعَنْ سَالِمٍ عَنْ أبيهِ-رضي الله عنهما- عَنِ النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قالَ: "إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ"(٤)

---

١) المجتمع المتكافل في الإسلام ، د.عبد العزيز الخياط ص(٩٠)، طبعة دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الثالثة (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

٢) يراجع: البركة في فضل السعي والحركة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابي الحبشي ص(٧)، طبعة المكتبة التجارية بمصر.

٣) كنز العمال ،علي المتقي (٩٨٥٨/٤) ، طبعة دار اللواء ، الرياض (١٣٩٩هـ).

٤) المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني ، باب الميم ، باب من اسمه مقدام ، (٣٨٠/٨)، رقم (٨٩٣٤) ، ثم قال الإمام الطبراني : لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ سَالِمٍ إِلَّا عَاصِمُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، تَفَرَّدَ بِهِ: أَبُو الرَّبِيعِ السَّمَّانُ، وَلَا يُرْوَى عَنِ ابْنِ عُمَرَ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ "، دار الحرمين – القاهرة.

وعن المسيب بن رافع قال: قال عبد الله بن مسعود- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: "إني لأمقت الرجل فارغاً ليس في شيئ من عمل الدنيا ولا الآخرة"([1])

ومن صور العمل الخيري في هذا المعني عقد الندوات التثقيفية، والدورات التعليمية، والدعوة إلى حضور اللقاءات العلمية التي يُدعى إليها أهل الخبرة والمعرفة لتشجيع الناس على الامتهان والاحتراف، ولا بأس أن تُعرض أثناء تلك الندوات أو تُدعى إليها بعض الشخصيات العاملة المكافحة فردية أومؤسسية، والتي نجحت في مجال عملها وخلّفت أثراً طيباً لتحكي عن تجربتها وتتحدث عن خبراتها فيما تمارسه من أعمال لتصير نموذجاً يُحتذى، ولا بأس بتكريمها والإشادة بها، والحث على حسن التأسي بمسلكها.

ثانياً: الأوامر الإلزامية: وذلك بسعي المؤسسات الخيرية في استصدار القرارات الحكومية لتمكينها من مباشرة الأمر والنهي في باب العمل وإعطائها من السلطات والاختصاصات ما يُمَكِّنُها من ذلك، سيما أن ذلك يتعلق به صلاح بعض الفئات المتعطلة، وهو عين ما تسعى إليه الدولة وتلك المؤسسات معاً ، وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يطوف في المدينة فيأمر المتعطلين ويقول: "يا معشر الفقراء، ارفعوأ رؤوسكم واتَّجروأ، فقد وضح الطريق، فاستبقوأ الخيرات ولا تكونوأ عيالاً على المسلمين"([2])

وكان يأمر غيرَ الممتهنين بتعلم الحرف واتخاذ المهن فيقول: "تعلموأ المهنة ، فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم إلى مهنة"([3]).

ومن صور العمل الخيري في هذا المعنى: إقامة المعسكرات التدريبية وورش العمل الصناعية وتكليف بعض المتعطلين والمتبطلين بتعلُّم بعض الحرف والصناعات أو مساعدة بعض الحرفيين ومناولتهم آلات صناعتهم في محاولة لكسر المألوف وخوض التجربة وممارسة العمل وتناول الغريب، فلعل الممارس لذلك يجد متعة لم يك يستشعرها مما يثير فيه حوافز الانتفاض والرغبة الأكيدة في الاستمرار والتنفيذ.

ثالثاً: الإجراءات العملية، وهو انتقال من باب التنظير والتأسيس إلى باب الممارسة والتطبيق، ومن ذلك :

أولًا: رهن إمداد القادرين على العمل بالشروع الفعلي فيه:

فقد يكون في المنع معنى المنح، إذ ليس من باب الحكمة أن يغدق الواجدُ على صاحب الحاجة القوي الذي يستطيع العمل وكفاية نفسه حتى يجد في عطاءات أهل

---

١) المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر بن أبي شيبة ،عبد الله بن محمد بن ابراهيم العبسي ، كتاب الزهد ، كلام ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - (١٠٨/٧) رقم (٣٤٥٦٢)، طبعة مكتب الرشد ،الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ)

٢) مناقب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ابن الجوزي، ص(١٩٣)، طبعة: دار الكتب العلمية ، بيروت.

٣) التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، محمد عَبْد الحَيّ الكتاني (المتوفى: ١٣٨٢هـ)(٢٠/٢)، طبعة: دار الأرقم – بيروت ، الطبعة: الثانية.

الثراء ما يغنيه عن الكد والتعب فيستمرئ ذلك ويستعذبه، إذ لا يخفى ما فيه من التواكل والتَّنصُّل من المسؤليات ومحبة الدعة والراحة وما يُخَلِّفُهُ من فتور الهمة وضعف العزيمة، بل يقتُلُ-أحياناً- همة أهل الهمم وأصحاب العزائم ممن يعملون ويجتهدون، وذلك حين يجدون هؤلاء المتعطلين من كثرة ما أغدق عليهم صاروا أغنى وأمتع فتضيع القيم وتختلط الأمور.

لقد وجد سيدنا عمر بن الخطاب– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سائلاً يحترف السؤال ومعه مخلاة فيها طعام، فأخذها منه وطرحها لإبل الصدقة ونهره ([1])، وفي ذلك إلزامُ أهل المسؤليات باتخاذ الإجراءات المُصلِحة لأمثال هؤلاء وتنفيذها، حيث أبطل له أدواته وآلاته التي يعتمد عليها في تبطله وتعطله لئلا يتَّكل.

ثانيًا: السعي في تشغيل العاطلين وإرشادهم إلى مظانِّ العمل: فقد تقصُرُ أعين بعض الناس عن إدراك مظانِّ التربح والتكسب وهي موجودةٌ متوفرةٌ بين أيديهم، وهنا تأتي دور المؤسسات والهيئات الخيرية إما في دور الوساطة بين المتعطلين وأرباب المصالح والمصانع، أو بين المتعطلين وبعض رجال الأعمال ممن يتمكنون من توفير فرص العمل، وإما في الأخذ بأيدي المتعطلين نحو ذلك مباشرةً ودلالتهم عليه، فقد ورد عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - "أن رجلين أتيا رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فسألاه، فقال: اذهبا إلى هذه الشعوب فاحتطبا فبيعاه، فذهبا فاحتطبا ثم جاءا فباعا فأصابا طعاما، ثم ذهبا فاحتطبا أيضا فجاءا فلم يزالا حتى ابتاعا ثوبين ثم ابتاعا حمارين، فقالا: قد بارك الله لنا في أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "(٢) ، فانظر كيف حولهما بتوجيهه من سائلَين إلى محترفَين ثم بائعَين ثم تاجرَين، حتى صارا من أرباب الأموال فكفاهما وكفى المجتمع حاجتهما.

لمتأمل في الحديث يلمح:

أولاً: أمر النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - للعاطِلَيْن بالعمل دون تردد.

ثانياً: إرشادهما إلى عمل محدد، وفي إرشاد بعض العاطلين لعمل معين وتحديده لهم والأخذ بأيديهم إليه كفاية مؤنتهم النفسية والمادية سيما إذا كان من أهل التردد والاضطراب.

ويمكن للمؤسسات الخيرية الاسترشاد بهذا وتوجيه السياسات العمالية ومساعدتها فيما يلي:

---

١) الإسلام والتنمية الاقتصادية د.شوقي دنيا ص(٣١٤) طبعة: دار الفكر العربي ، القاهرة (١٩٧٩م).

٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في السؤال(٢٥٤/٣) رقم (٤٥١٢)، وقال: رواه البزار وفيه بشر بن حرب وفيه كلام وقد وثق، انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، طبعة: دار الفكر، بيروت – (١٤١٢هـ).

أ. تأهيل العاطلين نفسياً ومادياً للعمل، ففي إشعار المتعطل بقدرته على العمل واستطاعته كفاية نفسه وصيانتها ذل السؤال دفع النفس نحو المعالي وتقوية العزم، والخروج بها من الهزيمة النفسية، سيما إذا شُفِعَ هذا التوجيه بالدعم المادي وتدبير آلة العمل ووسيلة الإنتاج.
ولو توفرت الهيئات والمؤسسات لهذا الدعم النفسي والمادي المبدئي لكفت كثيراً من المعوزين وأصحاب الحاجات.
وبنظرة مجردة إلى ثلة من أصحاب الحاجات تجد الهزيمة النفسية قد أصابتهم بالاكتئاب والمرض فأقعدتهم وطرحتهم عالة يتكففون الناس حتى صار الفقر والمرض متلازمين فيهما كلاهما يأخذ بيد صاحبه.
ب- أمر العاطلين بالعمل وزجرهم على تركه، وعدم الغضاضة من ذلك، فمن النفوس من لا يستقيم حالها إلا بالأخذ والشدة وسلوك سبيل الجادة.
ت- توجيه العاطلين إلى الأعمال الملائمة لحالهم والمناسبة لقدراتهم ومواهبهم، ومراعاة اختلاف هذه المواهب والطاقات، ففي حديث أبي هريرة السابق نراه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يوجههم إلى كبير عمل يصعب على المبتدئين إحسانُهُ، وإنما وجههم إلى الاحتطاب والبيع، وهو مالا يشق على أمثالهما سيما وهو في بيئاتهم مشتهر وعليه أجر، ولعله لم يجد فيهما من القوة والجَلَدِ ما يستدعي لفت النظر إلى الصناعات المقتضيةِ بأساً شديداً وسعياً جديداً.
ث- التدرج في التوجيه نحو الأعمال: حيث لم يعدد النبي– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عليهم كبير أمر ولا نتاجَ فعل، بل أمر ووجَّهَ وترك النتائج حتى يفرزها الواقع وتُظهرُها الأيام "اذهبا إلى هذه الشعوب فاحتطبا فبيعاه" لهذا لم يجد الموعوظُ الأمرَ شاقاً فسعى من فوره في الامتثال والتنفيذ.
ج- إشعار المحتاج بالرغبة في إسداء الخير له، فمن الدلالات الدعوية المستفادة من توجيهات النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - للمتعطلين أنه لم يك يشعرهم باستثقال نصحه وسآمة أوامره، وذلك حين أخبرهم أنه إنما يريد بهم الخير، والمحافظة على كرامتهم وصيانة عزتهم، كما في حديث الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-عَنْ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ(١).
ح- المتابعة حتى الاطمئنان والاستقرار: فمن الحكمة أن يتعرف المرء على مصير توجيهه وأثر تعليمه، ونتيجة إرشاده، وقد ورد عَنِ الأَخْضَرِ بْنِ عَجْلاَنَ عَنْ أَبِى بَكْرٍ الْحَنَفِىِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِىَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَسْأَلُهُ فَقَالَ« أَمَا فِى بَيْتِكَ شَىْءٌ»؟ ، قَالَ: بَلَى حِلْسٌ(٢) نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ،

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة (٣٢٠/٥)(١٣٧٨)
٢) حلس: حلس البيت ما يبسط تحت حر المتاع من مسح ونحوه،يراجع : لسان العرب، ابن منظور(١٦٧/٤).

وَقَعْبٌ([1]) نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، قَالَ: «ائْتِنِى بِهِمَا»، فَأَتَاهُ بِهِمَا فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ وَقَالَ « مَنْ يَشْتَرِى هَذَيْنِ » قَالَ رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ.قَالَ« مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ »مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا قَالَ رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِىَّ وَقَالَ « اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِى بِهِ ». فَأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عُودًا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ « اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ وَلاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ». فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِىءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِى وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَصْلُحُ إِلاَّ لِثَلاَثَةٍ لِذِى فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ لِذِى غُرْمٍ مُفْظِعٍ أَوْ لِذِى دَمٍ مُوجِعٍ»(٢).

فائدة :

١-وجهه أولاً أن يتأمل ما في بيته، فلعل فيه ما يسد الرمق ويروي الغلة، ويكون باباً للخير وطريقاً للتكسب غير أنه لا يلتفت إليه من كثرة ما ألِفَه "أما في بيتك شيئ؟" سؤال ينبغي أن يُوجَّهَ إلى من يتكففون الناس ويبيعون وجوههم بطرْق الأبواب والتزلف للعباد، "أما في بيتك شيئ؟" إشارة إلى أن السؤال لا يجوز إلا بعد فقد مافي البيت من شيئ، وفي تنكير قوله(شيئ) ما يوحي بهذا المعنى، "أما في بيتك شيئ؟" ليكن شعار الناس لمن يترددون عليهم كل يومٍ في المسألة فربما كان رادعاً لهم.

٢-أرشده إلى عدم احتقار ما يملك، فربما كان بين يديه مالاً متقوَّماً يمكنه استغلاله غير أنه لا يدري، وذلك حين سأله عن عموم ما ترك لا عن نفيسه (شيئ) فربما احتقرت عظيماً أو هوَّنت من كبير، ولكون الرجل قد وعى السؤال تراه يجيب بما يناسبه فلم يصطف نفيسه، قال: "بَلَى حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ".

٣-أقام بين الصحابة درساً عملياً في عدم احتقار الشيئ- ولو صغُرَ- حين قال:"ائْتِنِى بِهِمَا" فأحضرهما في مجلس رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثم تناولهما بيده، فقد يكون فيهما من المزايا ما لا تعلمه أنت، ودليل ذلك أن النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم يجد غضاضة أبداً في أن يرفعهما بيده بين يدي الصحابة ،وأن يلفت أنظار جلسائه إليهما،وأنهما صارا مالاً متقوماً يتساومُ الصحابةُ على ثمنه.

في الحديث من الإشارات الاقتصادية ما يلي:

<u>أولاً:</u> حوَّل الرسول- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الرجل من سائل إلى منتج.

---

١) قعب:القعب:القدح الضخم ،الغليظ الجافي، وقيل قدح من خشب مقعر، يراجع: تاج العروس من جواهر القاموس(٣٥/٤).

٢) أخرجه أبو داوود في سننه ، كتاب الزكاة ، باب ما تجوز فيه المسألة (٤٠/٢) رقم (١٦٤٣)

ثانياً: أوجد رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رأس مال المشروع من السائل نفسه، فقد باع شيئاً من ممتلكات بيته، حتى يحافظ الرجل على رأس مال المشروع.
ثالثاً: أوجد سبباً للمساعدة الخفية التي تحافظ على كرامة المحتاج، وتقتل الاستمراء والاستجداء في المجتمع ، حيث باع أشياءه بأكثر من سعرها المألوف، ولذلك تردد الصحابة أن يشتروه بدرهمين.
رابعاً: راعى الرسول- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الاحتياجات العاجلة للرجل، وهي الطعام والشراب فوجهه إلى سدادها أولاً "اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ"، وفي ذلك إشارة إلى وجوب تقديم الضروريات.
خامساً: وازن الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بين حاجات الأسرة الضرورية ومتطلبات الحياة اليومية، فلم يدله على التفريط في جانب دون الآخر، وذلك حين قسَّم الدرهمين فجعل أحدهما للمأكل الضروري ، والثاني لصناعة آلة العمل (اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ) وبهذا منعه أن يفرط فيشتري بكليهما طعاماً يؤكل ثم يبيت شبعاناً ويطوي بعد ذلك وأهله.
سادساً: في الحديث توجيه اقتصادي عظيم يتمثل في حسن استغلال رأس المال- ولوقلَّ- في الاستثمار الاقتصادي بعيد المدى، ففي آلة العمل الجالبة للعمل المساعدة عليه، المنجزة لمهامه من الأهمية ما للطعام الضروري الذي ينبذه المرء إلى أهله.
سابعاً: معاونة الرسول- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لصاحب الحاجة في إنشاء المشروع ليشعره بالاهتمام بالأمر، وذلك حين باشر الأمر بنفسه (فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُودًا بِيَدِهِ).
ثامناً: اختيار العمل المناسب لإمكانيات المحتاج المادية والبدنية والعقلية قائلاً: (اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ).
تاسعاً: اعطاء الرسول- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الفترة المناسبة للعامل حتى يستطيع الحكم على عمله وكفاحه من ناحية الإثمار وعدمه، وليتمكن من الحكم على مشروعه الاستثماري بحيادية، حيث قال: (وَلاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا).
عاشراً: المتابعة الدقيقة للمشروع، حيث قال الراوي: (فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا)، فدلَّ على متابعة الوارد والمنصرف في هذه العملية الاستثمارية.
حادي عشر: استخراج الدلالات والإشارات التعليمية، ودلالة صاحب الحاجة عليها والإشارة إلى وجه الصلاح فيها، وهو واضح في قوله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، فدلَّ على محبته الخيرَ له وإرادته الأخذ بيده، وفيه من الإشارة إلى نجاح المهمة وإثمار الرحلة ما لا يخفى.

م ص لعمل لخي في لفضا على لبـ الة يضا:

ثالثًا: الإعانة على سبل المعاش وتوفير آلة العمل والتكسب ، فكفالة آلة الصانع وتوفيرها له، أو إعطاء الصانع المحترف-الذي لا يملك- مالاً يستعان به على مباشرة

حرفته أولى من إطعامه طعاماً مؤقتاً يزول مع الوقت أثره، "فَإِنْ كَانَتْ عَادَتُهُ الِاحْتِرَافَ أُعْطِيَ مَا يَشْتَرِي بِهِ حِرْفَتَهُ أَوْ آلَاتِ حِرْفَتِهِ، قَلَّتْ قِيمَةُ ذَلِكَ أَمْ كَثُرَتْ"(١)، وفي فقه الحنابلة: "يُعْطَى مُحْتَرِفٌ ثَمَنَ آلَةِ حِرْفَةٍ، وَإِنْ كَثُرَتْ، وَتَاجِرٌ يُعْطَى رَأْسُ مَالٍ يَكْفِيهِ ، وَيُعْطَى غَيْرُهُمَا،أيْ :الْمُحْتَرِفِ وَالتَّاجِرِ مِنْ فَقِيرٍ وَمِسْكِينٍ تَمَامَ كِفَايَتِهِمَا"(٢).

رابعًا: إنشاء مشروع أو جمعية الإقراض والتمويل الصناعي.

فإن الحكمة الدعوية والمجتمعية تقتضي أن تساهم المؤسسات الخيرية والتطوعية في تمويل المشروعات الصغيرة وتشجيعها، والمساهمة الفعلية في تنميتها ومدِّ يدِ العَوْنِ لأربابها، ولو كان ذلك التمويل على سبيل الإقراض المشروط، فمتى تحسَّنَ الأداءُ وعمَّتْ الفائدةُ كُوفئَ ذلك الصانع بتخفيض شيئ من قرضِه، لتشجيعه، والتحفيز على الامتثال به في طريق الجدِّ والاجتهاد، ولا حرجَ أنْ يُعلَنَ ذلك على الملأ وفي وسائل التواصل الاجتماعي والوسائل الإعلامية العامة، بل تُخصَّص بعضُ أموال الجمعياتِ الخيرية لمثلِ هذا النهوض العامِ بالمشروعات القومية والإنتاجية ويُوقفُ لأجلها، وقد استحب الفقهاء أن تكون العين الموقوفة مما يمكن الانتفاع بها مع بقائها ف "إقراض الفقير مبلغاً من المال يُمَكِّنُهُ من بناء بيت ولو صغيراً، أوالشروع فيه على الأقل، أو تأسيس محل صغير للاستثمار، أو شراء سيارة مناسبة للعمل عليها، كل ذلك خير له وأنفع من هبة من المال مقطوعة، كما أن الإقراض يحقق للمتبرع استمرار الانتفاع بما تبرع به ولو كان قليلاً"(٣)

خامسًا: الإعلان عن تكريم أصحاب الأعمال اليدوية وإبرازهم كنماذج للمجتمعات المكافحة :

فقد حث الرسول- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أصحابه على الرعي والاحتطاب والاحتشاش وكل أشكال العمل الزراعي والتجاري والحرفي وكل عمل نافع مفيد، وكَرَّمَ من أجاد ذلك وأشاد به حتى صار مضربًا للمثل في ذلك، ومن أمثلة أحاديثه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في ذلك ما جاء عَنِ المِقْدَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ"(٤)،

وفيه الحث على ضرورة السعي والعمل ليقوم الإنسان بنفسه وبمن يعول، كما أن فيه من باب المخالفة أن انتظار النفقة من الغير ليس بالمنهج الصحيح وإن كان

---

١) المجموع شرح المهذب للشيرازي، محيي الدين بن شرف النووي (١٩٤/٦)، تحقيق محمد نجيب المطيعي، طبعة مكتبة الإرشاد ،جدة (السعودية).

٢) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى في الفقه الحنبلي، مصطفى السيوطي الرحيباني (١١٦٥-١٢٤٣ه) (٢٧٥/٥)، طبعة: المكتب الإسلامي، دمشق، سنة(١٩٦١م).

٣) أفكار جديدة في العمل الخيري مع مستندها الشرعي، د. فهد بن عبد الرحمن اليحيي ، بحث مقدم لمؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث ، دبي ٢٠٠٨م، ص(١٢).

٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ البُيُوعِ، بَابُ كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ (٥٧/٣) (٢٠٧٢).

مقبولاً لمن تعثرت بهم قدراتهم وعجزت قواهم عن إطعام أنفسهم، فإنه ليس مقبولاً ممن كان قادراً ويستطيع إطعام نفسه وعياله، كما أنَّ فيه النصَّ على أصحاب الأعمال المكافحين وتخصيصهم بالذكر والإشادة بهم على الملأ، وذكر حسن صنيعهم، وحث الناس على نهج طريقهم.

سادسًا: انشاء مراكز استثمار الطاقات الفردية واكتشاف المواهب التي لا تملك الإعلان عن نفسها.

فلقد أعطى الله-عز وجلَّ- لكل إنسان طاقات وملكات ومواهب، عليه أن يستثمرها في تحقيق الخير لنفسه وللناس، وقد كان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يكتشف في أصحابه مواهبهم وطاقاتهم، ويوظفهم وفقاً لذلك.

ففي غزوة الخندق اكتشف في سلمان الفارسي التخطيط فوظفه لذلك ورسم خطة للدفاع عن المدينة بحفر الخندق، واستفاد المسلمون بخبرته، واكتشف في خالد بن الوليد الخبرة والحنكة العسكرية فوظفه قائداً على جيوش المسلمين، واكتشف في عمر وأبي بكر سداد الرأي والصدق والإخلاص فجعلهما مستشاريه المقربين، واكتشف في بلال حسن الصوت فجعله مؤذناً في مسجده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واكتشف في نعيم بن مسعود الدهاء والحيلة - ولم يكن الكفار قد عرفوا بإسلامه- فوظفه للإيقاع بين بني قريظة وكفار قريش، كما عرف في أبي ذر ضعفه ورقة قلبه، فرفض توليته الإمارة، وهكذا كان في اختياره لكتبة الوحي، وفي إرساله الرسل، وفي تعيينه العمال والولاة، وفقاً للكفاية والكفاءة.

ولقد نمَّى رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في أصحابه هذه الميول والطاقات والقدرات، حتى جعل منهم علماء وقادة وأمراء، تمكنوا من فتح العالم شرقاً وغرباً، ونشر الإسلام في كل ربوعه، وإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الهداية والإيمان في فترة قياسية جداً، ولا يخفى على أحد ما للتخصص وزيادة الكفاءة من مزايا وفوائد في حسن استخدام الموارد.

إن المنهج الذي سار عليه النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يتعلق بالتحصين القيمي والتعزيز الذاتي وبناء الحوافز والدوافع الداخلية التي تولد في النفس الإنسانية طاقات وإمكانات هائلة، يمكن استثمارها عند الحاجة إليها، وهذا ما قام به النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عندما اعتمد على أصحابه في البناء والتخطيط وتأسيس الدولة وتوطيد أركانها والذود عن حياضها.

إن من أهم أسباب قوة الأمة النهوض بأبنائها والارتقاء بشبابها، فبناء الإنسان الصالح القوي هو أساس انطلاقة التنمية الإسلامية.

إن هذا التحصين وهذه الحوافز الذاتية هي التي ولَّدت في الناس الدافعية والرغبة والحرص بأن يكون للإنسان المسلم دور مهم في حياته، فكل مسلم على ثغرة يجب عليه القيام بسدها، وتوظيف أقصى طاقاته في خدمة نفسه ومجتمعه

ولم يكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مديراً لمكتب عمل يوزع الأعمال على الناس، ولا مديراً لمكتب تنمية اجتماعية يوزع الصدقات، ولكنه كان يوجد لدى الجميع الإمكانات والقدرات على العطاء والإنجاز، فلا تكاد تجد فارغاً أو عاطلاً عن العمل.

إن الإسلام يجعل ولي الأمر راعياً لأمته، يقوم بكل ما يستلزمه دور الراعي من رعاية وعناية وحماية وكفاية .. الخ، ومن ذلك توظيف الطاقات وتذليل الصعوبات والمشكلات، وهذا ما قام به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفاؤه الراشدون، لذلك كان حرصه على التكوين في بداية بعثته، واستغرقت عملية التكوين والصقل والتهذيب وتوليد الطاقات ثلاثة عشر عاماً، حتى تخرج من مدرسته – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الجيل القرآني الفريد المختلف كلياً عن الأجيال السابقة، وهو الذي واصل المسيرة بعد وفاته، وتمكن من فتح العالم شرقاً وغرباً في فترة قياسية، ونشر الإسلام في كل ربوع الأرض.

سابعًا: التدريب المهني لأصحاب الصناعات.

فمن باب رفع البطالة الحسية والمعنوية عن المجتمع، وتخفيف الأعباء المترتبة على وجودها أن يتم عقد ورش العمل التدريبية لمن كانت في أيديهم صنعة، وذلك بغرض تجويدها والارتقاءِ بآلتها، وتحسين مستوى إنتاجِها، واستثمارها في تحقيق نمو المجتمع، حتى لا يتسبب وجود الصانع المتعطّل إلى وجود البطالة المقنّعة، وقد جاء عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مُرَاوِحٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ»، قُلْتُ: فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَعْلاَهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «تُعِينُ صَانِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ»،: قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ»(١)

قال ابن بطَّال: "يعنى عاملاً لا يستطيع عمل ما يحاوله ، والخرق لا يكون إلا فى اليدين ، وهو الذى لا يحسن الصناعات"(٢)

وفي اختصاص الصانع هنا بالإعانة إشارة إلى فئة من الناس قد يُغفَلُ عنها، "وَفِيه إِشَارَة إِلَى أَن إِعَانَة الصَّانِع أفضل من إِعَانَة غير الصَّانِع، لِأَنَّ غيرَ الصَّانِع مَظَنَّة الْإِعَانَة، فَكل أحد يُعِينهُ غَالِبا بِخِلَاف الصَّانِع، فَإِنَّهُ لشهرته بصنعته يغْفل عَن إِعانته فَهُوَ من جنس الصَّدَقَة على المستور"(٣)

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب العِتْق، بَابٌ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ (١٤٤/٣)(٢٥١٨) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كِتَابُ الْإِيمَان، بَابُ بَيَان كَوْن الْإِيمَان بِاللهِ تَعَالَى أَفْضَلَ الْأَعْمَال (٨٩/١)(٨٤)

٢) شرح صحيح البخارى، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي (٣٥/٧)، طبعة مكتبة الرشد - السعودية / الرياض – الطبعة : الثانية (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).

٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) (٨٠/١٣)، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

كما أنَّ فيه دلالة على أنَّ: "الصَّنْعَةَ: مَا بِهِ مَعَاشُ الرَّجُلِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الْحِرْفَةُ وَالتِّجَارَةُ وَالْمُرَادُ: إِعَانَةُ الْصَانِعِ الَّذِيْ لَمْ يَتِمَّ كَسْبُهُ لِعِيَالِهِ، أَوْ كَانَ ضَعِيفًا عَاجِزًا فِي صُنْعِهِ"(١)

كما ورد عن أبيْ كَثِيرٍ الزُّبَيْدِيُّ السُّحَيْمِيُّ، عَنْ أبيهِ، وكَانَ يُجَالِسُ أَبَا ذَرٍّ، قالَ: فَجَمَعَ حَدِيثًا فَلَقِيَ أَبَا ذَرٍّ وَهُوَ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى وَحَوْلَهُ النَّاسُ، قَالَ: فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ حَتَّى مَسَّتْ رُكْبَتِي رُكْبَتَيْهِ، فَنَسِيتُ ذَلِكَ الْحَدِيثَ وَتَفَلَّتَ مِنِّي كُلُّ شَيْءٍ أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهُ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ فَجَعَلْتُ أَتَذْكُرُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلَ بِهِ الْعَبْدُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تُؤْمِنُ بِاللَّهِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مَعَ الْإِيمَانِ عَمَلًا؟ قَالَ: «يَرْضَخُ(٢) مِمَّا رَزَقَهُ اللَّهُ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ كَانَ مُعْدَمًا لَا شَيْءَ لَهُ؟ قَالَ: «يَقُولُ مَعْرُوفًا بِلِسَانِهِ» قُلْتُ: فَإِنْ كَانَ عَيِيًّا(٣) لَا يَبْلُغُ عَنْهُ لِسَانُهُ؟ قَالَ: «فَلْيَعِنْ مَغْلُوبًا» قُلْتُ: فَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا لَا قُوَّةَ لَهُ؟ قَالَ: «فَلْيَصْنَعْ لِأَخْرَقَ» قُلْتُ: فَإِنْ كَانَ أَخْرَقَ؟ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: «مَا تُرِيدُ أَنْ تَدَعَ فِي صَاحِبِكَ خَيْرًا؟» قَالَ: «يَدَعُ النَّاسَ مِنْ أَذَاهُ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا لَيَسِيرٌ كُلُّهُ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْهُنَّ خَصْلَةٌ يَعْمَلُ بِهَا عَبْدٌ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَخَذَتْ بِيَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَمْ تُفَارِقْهُ حَتَّى تُدْخِلَهُ االْجَنَّةَ»"(٤)، وقد دلَّ الحديث الشريفُ على فضل العمل الخيري التطوعي، وأرشد إلى أنَّ من مجالاتِهِ وصورِهِ: إعانة الصانع غير المجيدِ ، وتدريب أصحاب المهن والصناعات المختلفة، وأنَّ ثوابَ ذلك الجنة.

---

١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى:١٠١٤هـ) (٢٢١٤/٦) ، طبعة: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى (١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م).

٢) أي يعطي، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري(٢٢٨/٢).

٣) أي عاجزاً، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري(٣٣٤/٣).

٤) رواه ابن حبَّان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها(٩٧/٢)(٣٧٣)، وقال الأرناؤوط في هامشه: "أبو كثير السحيمي، ثقة من رجال مسلم، ووالده لم أتبينه، وفي رواية الحاكم: وكان يجالس أبا ذر رضي الله عنه، وباقي السند رجاله ثقات رجال الصحيح"، ورواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين، في كتاب الإيمان، (١٣٢/١)(٢١٢)، وقال:" هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ فَقَدِ احْتَجَّ فِي كِتَابِهِ بِأَبِي كَثِيرٍ الزُّبَيْدِيِّ وَاسْمُهُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أُدَيْنَةَ وَهُوَ تَابِعِيٌّ مَعْرُوفٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو كَثِيرٍ الْأَعْمَى، وَهَذَا الْحَدِيثُ لَمْ يُخَرِّجَاهُ " ووافقه الذهبي في تلخيصه،ورواه الطبراني في معجمه الكبير(١٥٦/٢)(١٦٥٠)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال:"رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات، وقد تقدمت له طرق"، يُرَاجَع: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٣٥/٣)(٤٧٤٤).

المبحث الثالث

صور العمل الخيري وأثرها في القضاء على ظاهرة الفقر

جاء في كتب اللغة أن "الفاء والقاف والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على انفراج في شيء من عضوٍ أو غير ذلك،ومن ذلك: الفَقار للظَّهر،الواحدة فَقارةٌ،والفقير: المكسور فَقار الظَّهر،ومنه اشتُقَّ اسمُ الفقير،وكأنه مكسورُ فَقار الظَّهر من ذِلَّتِهِ ومَسْكَنتِه"(١)
وهو "ضد الغِنى،والفَقِير المكسور الفَقار يُضربُ مثلاً لكل ضعيفٍ لا ينفُذ في الأمور"(٢)
واصطلاحاً: "مجموعة من الظروف والأوضاع الحياتية التي تعيشها فئات اجتماعية تتسم بالحرمان على الصعيد المادي والاجتماعي والبيئي، وقد تشمل أشكال الحرمان أفراداً أو عائلاتٍ،فضلاً عن مناطقَ جغرافيةٍ،أو فئاتٍ اجتماعيةٍ"(٣)
وفي التعريف إشارة إلى أن الفقر يعني الحرمان والحاجة، والعجز عن تحقيق الحد الأدنى من مستوى المعيشة،وإذا كان مفهوم الفقر في الاقتصاد الوضعي يعني:العجز عن إشباع الحاجات الأساسية أو الضرورية،سواء في ذلك الأفراد،أو الشعوب وعدم تحقيق(مستوى الكفاف)،فهو في الاقتصاد الإسلامي يعني: قصور الدخل عن أن يوفر للإنسان مستوى (الكفاية) من المعيشة...وليس الكفاف

نظرة الإسلام إلى الفقر

لقد سمى الله تعالى نفسه بالغنيِّ، فقال:﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾(٤) وهو يحب لعباده الغنى والمعزة لا الفقر والمذلة، ولا يمكن أبداً أن يدعو دين - جاء ليخرج الناس من الضنك إلى الشقاء ومن الظلمات إلى الضياء- إلى الافتقار، بل "إن الفقر في نظر الإسلام معرة وسبَّة،سيما إذا كان نتيجة الخمول والقعود وعقبى التفريط والاستحماق"(٥).
والله تعالى لا يحب الفقر لعباده ولا يرضه لهم، كما "لا يحب لهم أن يُشرَّدوا أو يُفسِدوا،ولا يحب لعباده كذلك أن يشقوا أو يفتقروا، فإذا كان اعوجاج الحياة الإنسانية على ظهر الأرض وزيغها عن سواء السبيل قد أدى إلى ظهور الفقر أو

---

١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(٤/٤٤٣-٤٤٤)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة: دار الفكر، الطبعة :(١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).
٢) لسان العرب ، ابن منظور(٥/٣٤٤٥)، طبعة: دار المعارف، القاهرة
٣) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، أحمد زكي بدوي ص(٣٠٧)، طبعة مكتبة لبنان، بيروت سنة(١٩٨٢م).
٤) سورة فاطر، من الآية رقم (١٥).
٥) الإسلام والمناهج الإشتراكية، محمد الغزالي(١/٢٥)، طبعة : دار نهضة مصر، الطبعة : الأولي

الكفر، فإن رسالة الدين تقوم على علاج هذا الانحراف، وتستهدف رد الناس جميعا إلى الإيمان والأمان"(١).
إذ لا يتوقف أثر الفقر المادي على توقف ازدهار الدين وإثمار الإيمان، بل يتجاوز الأمر حتى "يهدَّد مستقبل الإنسانية بشكل عام، فبسببه تتعثر الكثير من مسيرات وخطط التنمية، وتتزايد أيضاً بسببه الهوة بين الأغنياء والفقراء، مما يؤدي إلى زوال أحلام الشعوب والدول في الوصول إلى مستوى إنساني أفضل تتوافر فيه الحياة الكريمة للأفراد خاصة ما يتعلق منها بالاحتياجات الأساسية مثل التعليم والصحة والمأكل والمشرب، ولذا يعد الفقر ظاهرة اجتماعية متعددة الجوانب، ولا تعني فقط نقص الدخل أو ندرة فرص العمل،بل فيه تهميش لطبقة من المجتمع وحرمان للفقراء من المشاركة في صنع القرار وإبعادهم من الوصول للخدمات الاجتماعية"(٢)
ويكفي في بيان خطورة الفقر وآثاره الضارة أن نذكر هنا استعاذة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- منه وذكرَه قريناً للكفر،فقد روى "عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ،أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلَاثًا، حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمْسِي»، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهِنَّ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ، قَالَ عَبَّاسٌ فِيهِ: وَتَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تُعِيدُهَا ثَلَاثًا حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمْسِي، فَتَدْعُو بِهِنَّ» فَأُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ «اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ"(٣)
وهو كذلك خطر على الأفكار والسلوك، فإن الفقير المحروم ربَّما دفعه بؤسه وحرمانه إلى سيئ السلوك ، وقد ورد هذا المعنى واضحاً صريحاً في حديث الزُّهْرِيِّ، قال:أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ،أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْبَرَتْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ:«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ» قَالَتْ:

---

١) الإسلام والأوضاع الاقتصادية،محمد الغزالي(١/٢٧-٢٨)، طبعة: دار نهضة مصر، الطبعة: الأولي.
٢) اقتصاد الفقر بؤس وأزمات ، د. زيد بن محمد الرماني ص(٥)، طبعة : مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح (٤/٣٢٤) رقم(٥٠٩٠)، يراجع سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، وعلى هامشه حكم الألباني ، وقال :حسن الإسناد ، وأخرجه أحمد في مسنده (٣٤/١٧)، طبعة الرسالة ، وقال الشيخ أحمد شاكر- رحمه الله- إسناده قوي على شرط مسلم.

فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ،وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»(١)

صـ لعمل لخير في لقضا على لفق .

لقد أعلن الإسلام الحرب على الفقر، وشدد عليه الحصار، وقعد له كل مرصد، درءاً لخطره على العقيدة والسلوك، وحفظاً للأسرة، وصيانة للمجتمع ، وعملاً على استقراره وتماسكه، وسيادة روح الإخاء بين أبنائه، وتأكيداً لذلك أذكر هنا بعض الصور النظرية والتطبيقية التي يتمكن بها العمل التطوعي والخيري من محاصرة الفقر والقضاء عليه

أولًا: السعي في تشغيل القادرين على العمل من الفقراء:

وهذا الإشراك والتشغيل يأتي انطلاقاً من دعوة الإسلام إلى العمل والتأكيد عليه، وجعله الأصل في إقامة دين الله عز وجل على وجه الأرض، لأن إقامة دين الله تعالى تحتاج إلى قوة، والقوة لا تكون إلا بعمل وسعي ، كما تتحقق به العزة، "فإذا وُجد المؤمن القوي، والصانع الماهر، والزارع البارع، والمحترف الحاذق، والتاجر الذكي الفطن قام أمر المسلمين بجد وصلاح ، وقامت صناعتهم المنتجة لكل آلة وكساءٍ وسلاح، وقامت زراعتهم المنتجة لكل طعام وشراب، وسد المحترفون حاجات الناس في دقائق الصنائع، وسوَّقَ التجار المنتجات بفطنة وأمانة، وبذلك لا تهون الأمة ولا تذل ولا تخضع.

وبالعمل تُدفعُ المفاسدُ عن المسلمين، لأن المسلم إذا لم يعمل لنفسه فسيعمل له غيرُ المسلم، وإذا عمل له فسيطلع على أسراره ويعرف مدخراته ومخزوناته، ويسبر قدراته، فكيف بك إذا دخل عدوك دارك، وهتك أستارك، وباح بأسرارك، وهل تأمن عدوك على مالك؟

والعمل دفع لمفاسد الفراغ لدى المسلمين، فما حلَّ الفراغ بأمة إلا حلَّ بها الفساد والهوان والضعف، وأقعدها عن كثير من الواجبات، ذلك أن الفراغ مفتاح لكل سوء..."(٢)

إنه "من المستحيل إقامة مجتمع ناجح الرسالة إذا كان أصحابه جهالا بالدنيا عجزة فى الحياة، والصالحات المطلوبة تصنعها فأس الفلاح، وإبرة الخياط، وقلم الكاتب، ومشرط الطبيب، وقارورة الصيدلى، ويصنعها الغواص فى بحره، والطيار فى جوه، والباحث فى معمله، والمحاسب فى دفتره، يصنعها المسلم صاحب الرسالة وهو يباشر كل شىء، ويجعل منه أداة لنصرة ربه وإعلاء كلمته"(٣)

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب الدعاء قبل السلام ،(١٦٦/١) رقم(٨٣٢)

٢) العمل وأحكامه، د.سليمان بن ابراهيم بن ثنيان، مجلة البحوث الإسلامية (١٣٨/٦٢) باختصار وتصرف.

٣) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، محمد الغزالي، ص(١٢-١٣)، طبعة: دار نهضة مصر، الطبعة:الأولي.

والعمل الخيري بمختلف صوره هو أحد السياسات الاجتماعية التي تستهدف القضاء على الفقر وتسعى بشكل دائم ومستمر لتجفيف منابعه، وإخراج من يدخل في دائرته، وإعادة إدماجه في دورة العمل والإنتاج، ليصبح معتمداً على ذاته، مسهماً في بناء مجتمعه وفي مساعدة غيره.

ثانيًا: تفعيل دور الموارد الاجتماعية المؤدية إلى كفالة الفقراء.

يسعى النظام الإسلامي عامة إلى اجتثاث الفقر من المجتمع بوسائل متعددة، وكلما نبتت بوادر جديدة للفقر أسرع إلى محاصرتها وتجفيف منابعها، ودليل ذلك أنه قد جعل أول مصرف من مصارف الزكاة المفروضة هو مصرف الفقراء والمساكين، وقد فتح الإسلام الباب للقادرين على معالجة مشكلات الفقر بسنٍّ بعض وجوه البرِّ، ولفتِ النظر إلى بعض الموارد العامة التي يمكنها المساهمة في القضاء عليه، ومن هذه الموارد:

١. [illegible] (١): وهو من أعظم أعمال التطوع وأجلها، الذي يبقى أثره زمنًا طويلًا، وينتفع منه المسلمون على مر الأجيال والأزمان، وفيه مراعاة لمصلحة الواقف والموقوف له ، والمجتمع بأسره، ذلك أنَّه: "لما كان المال محببا إلى النفوس ويصعب على المرء التفريط فيه، فقد شرع الإسلام حبس عين المال، والتصدق بمنفعتها وفي هذا تحقيق لرغبة الإنسان المتمشية مع ما جُبل عليه من حرص على المال، وذلك لأن عين ماله باقية في الوقف ليس لأحد التصرف فيها، كما أن في ذلك تحقيقا لنفع الآخرين بريع هذا المال، ومراعاة لحالهم، وفيه أيضا تحقيق لحصول الأجر والثواب لصاحب ذلك المالك الموقوف"(٢) فاجتمع به تحقيق الرغبتين وتعميم النفع للجميع.

لقد حضَّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الوقف المطلق بكل صوره، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ "(٣)، وللوقف في الإسلام عدة مزايا خيرية واجتماعية حميدة، منها ما يقصد به المجتمع، ومنها ما يعود على الواقف نفسه من أجر وثواب يناله بسبب الوقف، ومن هذه المزايا:(٤).

---

١) الْوَقْفُ لُغَةً: هُوَ الْحَبْسُ تَقُولُ وَقَفْت الدَّابَّةَ وَأَوْقَفْتهَا بِمَعْنًى، وَهُوَ فِي الشَّرْعِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ : حَبْسُ الْعَيْنِ عَلَى مِلْكِ الْوَاقِفِ وَالتَّصَدُّقُ بِالْمَنْفَعَةِ بِمَنْزِلَةِ الْعَارِيَّةِ، يُراجَع: العناية شرح الهداية، محمد بن محمد أكمل الدين البابرتي (المتوفى: ٧٨٦هـ)(٢٠٣/٦)، طبعة: دار الفكر، المبسوط، محمد بن أحمد السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)(٢٧/١٢)، طبعة: دار المعرفة – بيروت(١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

٢) انظر أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية للكبيسي (١٣٦/١)

٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الْوَصِيَّةِ، بَابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ (١٢٥٥/٣)(١٦٣١)

٤) المرجع السابق (٢١٠/٣٦)

١ - تحقيق مبدأ التكافل بين الأمة المسلمة وإيجاد التوازن في المجتمع، فيحفظ لكلٍ حقه بغاية الحكمة والعدل، فتحصل بذلك المودة وتسود الأخوة ويعم الاستقرار، وتتيسر سبل التعاون والتعايش بنفوس راضية مطمئنة .
٢ - ضمان لبقاء المال ودوام الانتفاع به والاستفادة منه مدة طويلة ، فإن الموقوف محبوس أبدا على ما قصد له لا يجوز لأحد أن يتصرف به تصرفا يفقده صفة الديمومة والبقاء .
٣- كما أن في تلك المؤسسات تحقيقًا لغرض كثير من الأفراد الذين يرغبون في فعل الخير، ولكن أعمالهم والتزاماتهم تمنعهم من ذلك أو ليس لديهم الخبرة الكافية للقيام بتلك الأعمال، فإذا وجد من يخدمهم باستغلال ما ينفقونه على سبل الخير من المتخصصين بما يحقق الغاية منه دفعهم هذا إلى كثرة الإنفاق لاطمئنانهم إلى أن عائد ما ينفقونه سوف يصرف في مصرفه السليم .
٤- في الوقف حماية للمال ومحافظة عليه من عبث العابثين كإسراف ولد أو تصرف قريب ، فيبقى المال وتستمر الاستفادة من ريعه ، ويدوم جريان أجره له .
٥- في الوقف بر للموقوف عليه وقد حث الشرع الكريم على البر ورغب فيه ففي البر تدوم الصلة وتنقطع البغضاء ويتحاب الناس فتسمو الهمم وتأتلف القلوب وتتعاون على الأمور النافعة وتتجنب الكيد للآخرين وتتجه إلى العمل المنتج النافع .
ولذا حثَّ عليه النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إذ فيه من المصالح ما لا يوجد في سائر الصدقات، فإن الإنسان ربما يصرف في سبيل الله مالًا كثيرًا، ثم يفنى فيحتاج أولئك الفقراء تارة أخرى إلى العطاء، ويجئ أقوام آخرون من الفقراء فيُحرَمون، فلا أحسن ولا أنفع للعامة من أن يكون شيء حبسًا لهم يُصرَفُ عليهم من منافعه ويبقى أصلُه.

تتنـ مجالا ل ق ص في لإسلا ، منها:

أ. وقفُ المال على الفقراء والأقارب وعلى وجوه الخير: "وهو نوع من أنواع الصدقات التي رغب الشارع فيها وندب إليها، وهو قربة من القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، ولا فرق في ذلك بين الوقف على جهة عامة كالفقراء وطلبة العلم ونحو ذلك أو الوقف على القرابة والذرية ، إلا أن السلف الأول من هذه الأمة يفضلون أن يكون آخره للمساكين"(١) .
ومن ذلك ما رَوَىْ نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنْ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا» قَالَ: فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ، أَنَّهُ لاَ يُبَاعُ وَلاَ يُوهَبُ وَلاَ يُورَثُ، وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الفُقَرَاءِ، وَفِي القُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَابْنِ

---

١) مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (١٩٨/٣٦)

السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ لاَ جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَيُطْعِمَ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ(١)، قالَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ ابْنَ سيرينَ، فَقالَ: غَيْرَ مُتَأَثِّلٍ(٢) مَالًا"(٣)

ومنه ما جاء عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، أَحَبُّ مَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ(٤)، مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَنْ تَنَالُوا البرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(٥)، قامَ أَبُو طَلْحَةَ فَقالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا البرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو برَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، فَقالَ: «بَخْ(٦)، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ أَوْ رَابِحٌ - شَكَّ ابْنُ مَسْلَمَةَ - وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ»، قالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ، وَفِي بَنِي عَمِّهِ(٧)

ب. وقف مياه الآبار للسقيا والمنفعة العامة، فقد جاءت السنة النبوية المطهرة ببيان أن حفر الآبار للسقيا العامة من آكد أفعال الخير، ومما يبقى أثرُهُ بعدَ الموت، فَعَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وَقالَ: أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ، وَلاَ أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ»؟ فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ»؟ فَجَهَّزْتُهُمْ، قالَ: فَصَدَّقُوهُ بِمَا قالَ»(٨) فجعل جزاء حفر البئر ووقفها للمنفعة العامة كثواب من جهَّزَ جيشًا.

ت. وقف الدواب للحمل عليها وما يتبعها من وسائل الركوب وبلوغ القصد: فقد رَوَى نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ عُمَرَ حَمَلَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَعْطَاهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَحْمِلَ عَلَيْهَا رَجُلًا، فَأَخْبَرَ عُمَرُ أَنَّهُ قَدْ وَقَفَهَا

---

١) مال الرجل وتمول، إذا صار ذا مال، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري (٣٧٣/٤).

٢) أي غير جامع، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري(٢٣/١).

٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الشُّرُوطِ، بَابُ الشُّرُوطِ فِي الوَقْفِ (١٨٨/٣)(٢٧٣٧)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كِتَابُ الْوَصِيَّةِ، بَابُ الْوَقْفِ(١٢٤٩/٣)(١٦٣٢)

٤) هي اسم مال وموضع بالمدينة، من اليراح، وهي الأرض الظاهرة، انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير(١١٤/١).

٥) سورة آل عمران، من الآية رقم(٩٢).

٦) معناه: تعظيم الأمر وتفخيمه، انظر: غريب الحديث: ابن الجوزي(٥٧/١).

٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الوَصَايَا، بَابُ إِذَا وَقَفَ أَرْضًا وَلَمْ يُبَيِّنِ الحُدُودَ فَهُوَ جَائِزٌ، وَكَذَلِكَ الصَّدَقَةُ(١١/٤)(٢٧٦٩)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين(٦٩٣/٢)(٩٩٨)

٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الوَصَايَا، بَابُ إِذَا وَقَفَ أَرْضًا أَوْ بِئْرًا، وَاشْتَرَطَ لِنَفْسِهِ مِثْلَ دِلاَءِ المُسْلِمِينَ(١٣/٤)(٢٧٧٥)

يَبِيعُهَا، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبْتَاعَهَا، فَقَالَ: «لاَ تَبْتَعْهَا، وَلاَ تَرْجِعَنَّ فِي صَدَقَتِكَ»(١) وفي هذا من مواساة أهل الحاجة والافتقار وحملهم على ما يبلغهم مآربهم المشروعة ما لا يخفى

ث. وقف الأشجار للمنفعة العامة للأكل منها والتظلل بفيئها: فقد جاء عَن أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم: سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ، وهُو فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ"(٢).

وعن طريق الوقف "انتشرت في العالم الإسلامي المدارس والمكتبات، وتحسنت بدعمها العلوم، وازدهرت الأحوال الصحية، وأنشئت المستشفيات، وبُنيت للموتى القبور وتم تجهيز لوازم التغسيل والتكفين لهم"(٣)

٢. لهبة: وهي مجال واسعٌ في العمل الخيري التطوعي، الذي يتطوع فيه المسلم عن طيب خاطرٍ منه بلا موجب، بغية التقرب إلى الله عزَّ وجلَّ، وتتعدد مجالاتها باعتبار تعدد الأموال ، فربما كانت بالمال، وربما كانت بالقوة الجسدية يبذلها المرء لغيره فيساعدهم على قضاء حوائجهم، وربما كانت بما ينتجه الحيوان من لبن وغيره، أو وهب المنفعة به في ركوب أو حرث وخلافِهِ، وقد وردت بعض الأحاديث التي تذكرُ ذلك وتحثُّ عليه، منها ما جاء عن أَبِيْ سَعِيدٍ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُ عَنِ الهِجْرَةِ، فَقَالَ: «وَيْحَكَ إِنَّ الهِجْرَةَ شَأْنُهَا شَدِيدٌ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَتُعْطِي صَدَقَتَهَا؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَهَلْ تَمْنَحُ مِنْهَا شَيْئًا؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَتَحْلُبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا؟(٤)»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ البِحَارِ(٥)، فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَتِرَكَ(٦) مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا»(٧)

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الوَصَايَا، بَابُ وَقْفِ الدَّوَابِّ وَالكُرَاعِ وَالعُرُوضِ وَالصَّامِتِ(١٢/٤)(٢٧٧٥)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه،كتاب الهبات، باب كراهة شراء الإنسان ما تصدق به ممن تصدق عليه(١٢٣٩/٣)(١٦٢٠).

٢) رواه البزار في مسنده(٤٨٣/١٣)(٧٢٨٩)، وقال الألباني: "حسن لغيره"، انظر: صحيح الترغيب والترهيب له (١٧/١)(٧٣)

٣) العمل الخيري الإسلامي في ضوء التحديات المعاصرة، د. على النملة، ص(١٦-١٧).

٤) أي: يوم نوبة شربها، لأن الحلب يومئذ أوفق للناقة وأرفق للمحتاجين، انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، البدر العيني (١٨٨/١٣)

٥) هي القرى، والعرب تسمي القرى البحار، والقرية البحيرة، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي(٩/١٣).

٦) أي: لن ينقصك من ثواب أعمالك شيئًا، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي(٩/١٣).

٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيض عَلَيْهَا، بَابُ فَضْلِ المَنِيحَةِ(١٦٦/٣)(٢٦٣٣) واللفظ له ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير، وبيان معنى لا هجرة بعد الفتح(١٤٨٨/٣)(١٨٦٥)

فانظر كيف كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصًا على الترفق بالفقراء، فلم يكلفهم كبير عناء في سبيل الحصول على بعض المنح والهبات من ألبان بعض الإبل، حين أمر أربابها بحلبها في أماكن شربها وورودها الماء، فإنه: "أهون على الماشية وأرفق بها، وأوسع عليها من حلبها في المنازل، وهو أسهل على المساكين، وأمكن في وصولهم إلى مواضع الحلب ليواسوا"([1])،

وغير ذلك من وجوه الهبات والعطايا ما ذكره صلى الله عليه وسلم فيما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ»، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ"([2])

قال النووي: "فِي هَذَا الْحَدِيث: الْحَثّ عَلَى الصَّدَقَة وَالْجُود وَالْمُوَاسَاة وَالْإِحْسَان إِلَى الرُّفْقَة وَالْأَصْحَاب، وَالِاعْتِنَاء بِمَصَالِحِ الْأَصْحَاب، وَأَمْر كَبِير الْقَوْم أَصْحَابه بِمُوَاسَاةِ الْمُحْتَاج، وَأَنَّهُ يُكْتَفَى فِي حَاجَة الْمُحْتَاج بِتَعَرُّضِهِ لِلْعَطَاءِ، وَتَعْرِيضه مِنْ غَيْر سُؤَال، وَهَذَا مَعْنَى قَوْله (فَجَعَلَ يَصْرِف بَصَره) أَيْ : مُتَعَرِّضًا لِشَيْءٍ يَدْفَع بِهِ حَاجَته، وَفِيهِ : مُوَاسَاة اِبْن السَّبِيل، وَالصَّدَقَة عَلَيْهِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا، وَإِنْ كَانَ لَهُ رَاحِلَة، وَعَلَيْهِ ثِيَاب، أَوْ كَانَ مُوسِرًا فِي وَطَنه، وَلِهَذَا يُعْطَى مِنْ الزَّكَاة فِي هَذِهِ الْحَال"(٣).

٣. لإو :

فللقرض الحسن فعالية مثمرة في القضاء على الفقر، سيما إذا كان الإقراض لتزويد الفقراء بأداة للعمل، أو للبدء في أنشطةٍ تعودُ عليهم بالدخل، ولتجنب استمرار المساعدات التي لا تنتهي، وقد جاء في الحديث عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَتَدْرُونَ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ "، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "الْمَنِيحَةُ، أَنْ يَمْنَحَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ الدِّرْهَمَ، أَوْ ظَهْرَ الدَّابَّةِ، أَوْ لَبَنَ الشَّاةِ، أَوْ لَبَنَ الْبَقَرَةِ"(٤)

---

١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي(٧٢/٧).

٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ اللُّقَطَةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْمُوَاسَاةِ بِفُضُولِ الْمَالِ(١٣٥٤/٣)(١٧٢٨).

٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي (١٦٦/٦)

٤) أخرجه أحمد في مسنده(٤٢٢/٧-٤٢٣)(٤٤١٥)،وقال الأرناؤوط في هامشه: "حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف من أجل إبراهيم الهجري، وهو أبو إسحاق بن مسلم، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح"، واللفظ له، ورواه أبو يعلى في مسنده(٥٦/٩)(٥١٢١)، ورواه الطبراني في معجمه الأوسط(٢٨٤/٥)(٥٣٢٦)، وقال الهيثمي: "رواه أحمد، وأبو يعلى، وزاد الدينار أو البقرة، والبزار، والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح، انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد(١٣٣/٣)(٤٧٣٢).

والمقصود بمنحة الورق أو الدرهم هو القرض الحسن"([1])

٤. لتيسير على لمعسر لتجاوز عنه

المدين المعسر هو من ثبت عدم قدرته على وفاءِ دَيْنِهِ بشهادةِ مَنْ يعلمُ بحالِهِ، وقد حثَّ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على العفو عن المدين إذا تعذَّر، ولم يضر ذلك العفو بالدائن في ماله ونفسه، وكذا لم يضر بذلك المدين المعسر في خلقه فلا يستمرئ ذلك ويعتاده، أو إمهالِهِ، ومن ذلك ما جاء عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا[2] عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ"([3])

وقد بان في الحديث الشريف فضيلة التجاوز عن المعسر، وعظم المثوبة على ذلك، وهو والله من أعظم الأعمال مثوبة، وأكثرها عند الله أجرا، وعند الناس حمدا وشكرا، وفيه مراعاة الأخوة إذ "قد يأتي على المرء شدّة ومسغبة يضيق بها واسع رحابه، وتمسك بتلابيبه وتصبح الدنيا أمامه كسم الخياط، يودّ الخلاص منها بأي ثمن وإن غلا، ويودّ أن لو ابتلعته الأرض، لديون تراكمت، وأزمات به حلت لم تبق على رطب ولا يابس، ولا صامت من ماله ولا ناطق.

فإذا ما أنقذه دائنه مما هو فيه وحط عنه بعض دينه أو تجاوز له عما شغلت به ذمته. كان كمن ردّت إليه الحياة وقد كادت تزهق، أو انتشل من براثن الهلاك وقد أوشك أن يغرق، وناهيك إذا كان المتجاوز تاجرا شأنه البيع والشراء للربح والكسب، فهو جدّ حريص على زيادة ماله. وإنماء ثروته، وتقليب تجارته في الأسواق يبتغي المال الوفير، والربح الكثير، فإذا ما وضع عن غريمه بعض ما عليه دل ذلك على إخلاصه وسلامة نفسه من الشح ورغبته في الخير وابتغاء الأجر؛ فلا غرو أن يتجاوز الله عن سيئاته ويحط من أوزاره ويعفو برحمته عن هفواته وهو الغفور الرحيم"([4]).

٥. الحث على سقيا الماء

وهو باب عظيم من أبواب الأعمال الخيرية التطوعية، وقد جاءت الآيات والأحاديث تترى دالة على أهمية إطعام الطعام، ومن ذلك قول الله تعالى:﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا

---

١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري(٣٦٤/٤)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري(٧٧/٦).

٢) أي اعفوا وتساهلوا وتسامحوا، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري(٣١٥/١).

٣) اخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ البُيُوعِ، بَابُ مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا(٥٨/٣)(٢٠٧٨)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر(١١٩٦/٣)(١٥٦٢).

٤) الأدب النبوي، محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي (المتوفى: ١٣٤٩هـ)(٢٦٨/١)، طبعة: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الرابعة، (١٤٢٣هـ).

نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قمْطريرًا فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾(١)
وما جاء عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فُكُّوا العَانِيَ، يَعْنِي: الأَسِيرَ، وَأَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَعُودُوا المَرِيضَ"(٢)
وفي الحديث الشريف دلالة على أنَّ " إطعام الجائع عام يتناول كل جائع من بني آدم وغيرهم، وإطعام الجائع فرض على الكفاية، فلو أن رجلا يموت جوعا وعند آخر ما يحييه به بحيث لا يكون في ذلك الموضع أحد غيره ففرض عليه إحياء نفسه، وإذا ارتفعت حالة الضرورة كان ذلك ندبا"(٣)
وما رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»(٤)، ومعنى قوله: " أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟" أي: أيُّ أعمال الإسلام أكثر نفعًا؟(٥).
إلى غير ذلك من الموارد التي تساهم في القضاء على ظاهرة الفقر في المجتمعات، ومنها:

غائة لمنكـ بيـ

مساعدة المرضى وزياراتهم والتفريج عنهم
إمداد المحتاجين احتياجًا موسميًا، كتزويج الأيتام واليتيمات، وإمداد طلبة العلم الفقراء بمصروفات الدراسة وأدوات التعليم
فتح اماكن الضيافة العامة للمغتربين واللاجئين وأبناء السبيل وإيوائهم
تأمين الحوائج الضرورية للأسر التي غاب عائلُها، وغير ذلك.
ومن ذلك كله يتأكد لنا أن محاربة الفقر من أهمِّ مقاصد العمل الخيري ،وأنَّ الإسلام قد وضع من النظم والتشريعات الاقتصادية والاجتماعية ما يساهم في القضاء على الفقر وآثاره المادية والمعنوية، وأنّه قد سلك في سبيل ذلك المسالك المناسبة له، وقد عدّدَ فيها ماديًا ومعنويًا، كما سعى إلى:
١- تقديم المساعدات النقدية للفقراء والمعوزين بصفة دورية موسمية
٢- تقديم المساعدات العينية التي تشمل الطعام والماء والكساء والدواء والغطاء
٣- تقديم المساعدات المؤسسية كدعم وتمويل المشروعات الصغيرة أو إنشاء المؤسسات التعليمية والتربوية والخدمية كالمساجد والمدارس ودور الأيتام والمستوصفات الخيرية ودور الرعاية الاجتماعية للعجزة والأرامل وذوي الاحتياجات

---

١) سورة الإنسان، الآيات ٠٩-١٢).
٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ فَكَاكِ الأَسِيرِ(٦٨/٤)(٣٠٤٦)
٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني(٢٩٤/١٤).
٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابٌ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ مِنَ الإِسْلاَمِ(١٢/١)(١٢)، ومسلم في صحيحه، كِتَابُ الإِيمَانِ، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل(٦٥/١)(٣٩)
٥) يُراجَع تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري(١٢/١)، طبعة: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى(١٤٢٢هـ)

الخاصة(١)، وفي نظري لو قدمت هذه المساعدات النقدية والعينية في صورة أدوات إنتاج ووسائل تكسُّبٍ لكان أفضل.

ثالثًا: الإلزام الاجتماعي بمبادئ التكافل، واعتبارها من الواجبات الوطنية لازمة السداد.

حيث يمكن اعتبار كفالة بعض الأغنياء لإخوانهم الفقراء داخل المجتمعات المسلمة والإلزام بها سنًّا وتشريعاً من مسوغات الانضباط ومؤهلات المواطنة مع وضع الضوابط الشرعية والعرفية له، وفي مؤاخاة النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بين المهاجرين والأنصار تشريعٌ لذلك وإرشادٌ إليه، وفيه أيضاً تربية اجتماعية وتهذيب نفسيٌ للمعطي من تربيته على معاني التكافل والتضامن والإنفاق والتعاون والشعور بالآخر، وتربية للآخذ لأنه لم يأمره بالأخذ للكفاية إلا بعد استفراغ الجهد وبذل الطاقة، وتشجيع له على معاني الاقتصاد والكفاف.

وقد أمر الشرع الحنيفُ بالعمل الإغاثي وتقديم الخدمات العاجلة للوطن والمواطنين، واعتبر ذلك من الواجبات اليومية اللازمة، "والتي تعتمد على تبرع المسلم بالجهد الجسدي، أو التبرع المالي لإنقاذ الغرقى، والهدمى، والحرقى، وإرشاد الضالِّ، ونحوها"(٢)، فقد رُوِىَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلاَمَى(٣) مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ"(٤) والمراد بالصدقة هنا: "صدقة الندب والترغيب لا الإيجاب والإلزام"(٥) وهو مضمون العمل التطوعي

وقال ابن بطَّال: "وليس ما ذكر فى هذا الحديث أنه صدقة على الإنسان تجب عليه فرضًا ، وإنما هو عليه من باب الحض والندب ، كما أمر الله تعالى المؤمنين

---

١) يراجع : مقاصد العمل الخيري والأصول الإسلامية للمشاركة الاجتماعية ، د/ ابراهيم البيومي غانم ، تقديم المستشار طارق البشري ص (٣٩) ، طبعة مكتبة الشروق الدولية بدون تاريخ.

٢) الأعمال التطوعية في الإسلام، د/ محمد بن صالح القاضي، ص(١٥)، بحث مقدم إلى اللقاء السنوي الرابع للجهات الخيرية بالمنطقة الشرقية، جمعية البر الخيرية بالدمام، الطبعة: الثانية(١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م).

٣) السُّلامىَ هي: عظام الأصابع وسائر الكف، ثم استُعمِلَ في جميع عظام البدن ومفاصلِهِ، وعددها في جسم الإنسان ستين وثلاثمائة مفصل، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي (٢٣٣/٥).

٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَنْ أَخَذَ بالرِّكَابِ وَنَحْوِهِ (٥٦/٤)(٢٩٨٩) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ (٦٩٩/٢)(١٠٠٩)

٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي (٩٥/٧).

بالتعاون والتناصر، فهذه كلها وما شاكلها من حقوق المسلمين بعضهم على بعض مندوب إليها مرغب فيها"(١)
وكذا ما رواه سَعِيدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ فَقَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ قَالُوا فَإِنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ [٢] قَالُوا فَإِنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ عَنْ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ"(٣)
قال ابن حجر: "إِنَّمَا ذَكَرَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِحْبَابِ الْمُتَأَكِّدِ أَوْ عَلَى مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ ، وَالْعِبَارَة صَالِحَة لِلْإِيجَابِ وَالِاسْتِحْبَابِ، وَكَأَنَّهُمْ فَهِمُوا مِنْ لَفْظ الصَّدَقَة الْعَطِيَّة فَسَأَلُوا عَمَّنْ لَيْسَ عِنْدَهُ شَيْء ، فَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالصَّدَقَةِ مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ وَلَوْ بِإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ وَالْأَمْر بِالْمَعْرُوفِ"(٤)
<u>رابعًا:</u> حسن استغلال الموارد المادية في المشروعات التنموية.
فمن الحكمة والفطنة أن لا تُجمعَ الزكوات والنفقات من عموم الأغنياء ثم توزع على عموم الفقراء فيجتهد الأولون وينعم الآخرون، ويظل الأمرُ هكذا دواليك في المجتمع المسلم "فريق يعمل ويعطي، وآخر يكسُلُ ويأخذ" إذ للزكاة في الإسلام هدفاً أسمى وأعمّ، بل ينبغي أن يُتَّخذَ الضمانُ الاجتماعيُ في الإسلام بسائر مفرداتِهِ قاعدة أساسية لتوفير مستوى لائق من المعيشة، ووسيلة مهمة يتم من خلالها تحقيق التنمية الشاملة للمجتمعات، وذلك حين تُجمع هذه الأموال، وتُستخدم الاستخدامَ الأمثلَ في بناء المشروعات التي يعمل فيها الفقراءُ والمعوزون فيُكفوْنَ المؤنة الأبدية، ويعملون بأيديهم، وتُحفظُ لهم كراماتُهم، ويحافظون على أدوات الإنتاج، ويستشعرون معنى الانتماء للوطن، ويساهمون في تحقيق تنميته، فيتجاوز دورُها سد الاحتياجات الأساسية للفقراء إلى توفير وسائل العمل، وكسب الرزق، وإنشاء المشروعات التي يعمل بها الفقراء، أو يعود دخلُها عليهم، وبهذا تُعتبرُ وسيلةً مهمةً لخلق فرص العمل، وتحقيق التنمية الشاملة.
إننا نجد الآن أن الزكاة وغيرها من أشكال العطاء توجه فقط لسدِّ الاحتياجات الأساسية، ولا تهتم بتحقيق التنمية، ما أدي إلى استمرار حالات الفقر، لهذا يجب أن تُوجَه العطاءات-سواء كانت أعطياتٍ ماليَّةً،أو عينيةً أو حتى بالمجهود- توجيهاً سليمًا لحل العديد من المشكلات الاقتصادية التي يعاني منها المجتمع المسلم في

---

١) شرح صحيح البخارى - لابن بطال (٨٥/٥).
٢) يطلق على المتحسر وعلى المضطر وعلى المظلوم، يُرَاجَع: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي (٩٤/٧).
٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابٌ: عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ (١١٥/٢)(١٤٤٥)، ومسلم في صحيحه، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ بَيَان أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ (٦٩٩/٢)(١٠٠٨)
٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٥٢/٥).

الوقت الحالي مثل مشكلة البطالة، والفقر، والديون، والفجوة الاقتصادية الفاحشة بين الطبقات.... عن طريق رسم خطة تنموية تقوم على أسس العدالة الاجتماعية
وفي هذا الإطار يُشار إلى(الوقف) في الإسلام: وهو من أهم صور العطاء المنظم المعتمد على ذاته ماليًا، والذي يعكس مجتمعًا قويًا،يسعى إلى تحقيق تنمية بلاده في شتى المجالات كبناء المدارس والمستشفيات ، ودعم الأبحاث في المجالات العلمية المختلفة، ومن ثم فإن إحياء مفهوم الوقف من جديد يعد من أهم المدعمات للتنمية، ويؤدى إلى تنظيم العطاء الاجتماعي.
خامسًا: اتخاذ سياسة التشجيع والتحفيز للحد من أسباب الفقر.
فلا بأس من اتخاذ المؤسسات الخيرية من التحفيز والتشجيع على الاستثمار ولو بتخفيض الإجارة أو الوعد بالتمليك أو المشاركة الاعتبارية مع بعض الفقراء ممن يستطيعون إدارة المشروعات والتربح من رؤوس الأموال طريقاً للحد من الفقر والتشرد، كاعتبار القرض الحسن على آجال مناسبة، والمشاركة المنتهية بالتمليك خلال أجل مناسب، أو الإجارة المنتهية بالتمليك خلال أجل مناسب، والمرابحة الإسلامية، والبيع بالتقسيط، وغير ذلك.

المبحث الرابع

صور العمل الخيري وأثرها في القضاء على ظاهرة الإدمان

لإ ما يعني: المواظبة والملازمة للشيئ "يقال:أدْمَنَ فلان كذا إدْمَانًا واظبه ولازمه"(١)، و"دمن فلان على فلان، وعلى الشيء:لزمه،و(أدمن) الشراب وغيره أدامه ولم يقلع عنه"(٢)

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن أحلَّ لهم الطيبات التي تصلحهم وحرَّم عليهم الخبائث التي تفسدهم،ومن جملة تلك الخبائث تحريم المخدرات بشتى صورها ومختلف أنواعها وأسمائها، ولقد تكلم العلماء قديماً وحديثاً عن تحريمها وأضرارها، فذكروا من أضرارها الصحية تأثيرها في أجهزة الجسم وإصابته بالضعف والوهن بعد البأس والقوة، وغرس الكسل والبلادة بعد النشاط والفهم..، ومن أضرارها الاقتصادية: ضياع الأموال وإفساد المعيشة وبيع الضروريات وفوات قوت الأولاد ، فضلاً عن المساهمة في إضعاف الإنتاج وإشاعة روح الكسل والعجز..، ومن أضرارها الاجتماعية التسبب في تفكك الأسَرْ، والتفلت من المسئوليات الاجتماعية والواجبات العائلية....، فضلاً عن الأضرار الخلقية والدينية مما هو معروفٌ للعامة والخاصة(٣) بما فيها من موت بطيئ، وتغييب للعقل وتبذير للمال وانتهاك لحرمتي الدين والعرض ما يجعل العمل الخيري أكثر فعالية وإيجابية في هذه الأوساط، وذلك عن طريق:

<u>أولًا:</u> تفعيل الدور التوعوي لبيان خطورة الإدمان على الفرد والمجتمع، وذلك بإقامة الحملات التوعوية والمساعدة في "التمويل الخيري المادي والمعنوي لإلقاء المحاضرات وإقامة الملتقيات وبث الحصص الإذاعية والتلفزيونية وتنشيط الدروس المسجدية، وطبع وتوزيع المطويات التوعوية المتعلقة ببيان مخاطر ظاهرة الإدمان على الفرد والمجتمع وما ينجرُّ عنها من آثارٍ سلبيةٍ، مما يستدعي دقَّ ناقوس الخطر"(٤) وبيان أن سلاح المؤمن في حياته عقل سليم، وصحة قوية، ومال يغنيه، وكرامة وشرف يسمو بهما، ولذلك حرم الإسلام الخمور والمخدرات، وجرّم الإباحية والفسوق، لأنَّ هذا كله يُذهِبُ العقل والصحة والمال والكرامة والشرف، كما يفتك بالعقول فيعطلها، وبالصحة فيفنيها ويهلكها، وبالأجسام فيمرضها ويهدمها، وبالنفس فيبلدها، وبالأموال فيبددها، وبالأسرة فيشتتها، وذلك بلاء ماحق، وموت

---

١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي(٢٠٠/١)، طبعة: المكتبة العلمية – بيروت.

٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار(٢٩٨/١)، طبعة: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية

٣) يراجع في ذلك: الفقه الإسلامي وأدلته، د.وهبه الزحيلي(٤٤١/٧)، طبعة دار الفكر، دمشق،سوريا، المخدرات في رأي الإسلام، د.حامد جامع، محمد فتحي عيد ص(١٢) سلسلة البحوث الإسلامية، الكتاب السابع(١٩٧٩م).

٤) صور العمل الخيري وآثاره، مركز مداد الدولي للأبحاث والدراسات ص(٢٣).

بطيئ، وانتحار تدريجيٌّ، والمحافظة على العقل أمر ضروريٌّ يتطلبه الدين والدنيا معاً، ودعامة المحافظة عليه الوقاية من أسباب هلاكه، والعلاج من آفاته.

ثانيًا: اهتمام حملات العمل الخيري بمخالطة المدمنين في مراكز علاجهم :

فاندماج هذه الحملات الخيرية والمؤسسات الدعوية بين أفراد تلك الفئة للتقويم والتوجيه ، والاستفادة من المُكث بينهم وكتابة التقارير الاجتماعية والسلوكية عنهم، والعودة بها إلى المؤسسسات الخيرية للمساهمة في متابعة حالاتهم حتى لا تحدث لهم الانتكاسة الصحية أو الخلقية والسلوكية، وتوفير الرفقة الصالحة لهم بدلاً من جرهم إلى رفقة السوء مرة أخرى أمر له أثره ونتيجته الواضحة ، إذ:

من أهم أسباب الإدمان لدى بعض الفئات - سيما الشباب منهم- : معاشرة الخلطة الفاسدة ورفقاء السوء، فالصديق يتأثر بصديقه أكثر من تأثره بأبيه، لأنهما متقاربين في السن والثقافة والميول، ولأنهما يسترسلان في الحديث بينهما دون احترازٍ أو احتراس كالذي يكون مع الوالد، ولهذا سرعان ما يتأثر الشاب برفقائه وخلَّانه، ويكتسب من بعض رذائلهم ما يَرْسَخُ في طبعه، بل إنَّك تجد أثر هذه الخلطة في "تغيير كثير من أخلاق الإنسان وعاداته من حيث يدري أو لا يدري، ومن حيث يريد أو لا يريد، بل تجد أثرها في الجماد والحيوان، وهما دون الإنسان قبولاً للتأثر، فالماء يطيب ريحه ويعزب في الفم مذاقه إذا جاور الأزهار، ويخبث ريحه ويشتد غصصه إذا جاور الجيف، والحصان الشرود إذا قرن بآخر ذلولاً صار ذلولاً سهل القياد"([1])

وبهذا تستطيع تلك المؤسسات الخيرية أن تسدي معروفاً واسعاً لهذه الفئة حين تساهم في تغيير الريح الخبيثة إلى ريحٍ طيبة يُشتَمُّ عبيرُها ويُستنشق نسيمُها، سيَّما إذا أدرَجَتْ ضمن جدولِ أعمالها تلك الزيارات المستمرة والفاعلة لبعضِ عناصرها المجتهدين والمتطوعين لهذه المراكز العلاجية أو تلك المصحات النفسية، فتُغيِّرُ من نظرتِهم للمجتمع ، وتبثُّ فيهم روحَ العزيمةِ والإصرار وتقومُ بينهم ببعضِ الإنشطة الثقافية والرياضية والتربوية في محاولةٍ جادةٍ لإعادة التأهيل والتقويم، فتنفعُ الصُحْبةُ وتُثمرُ الرُفقة، "ألا وإن مصاحبة الأخيار ثُورثُ الخير... كما أن مصاحبة الأشرار تورث الشر...تماماً كالريح الساريةِ إذا مرت على الزهور حملت طيباً، وإذا مرت على النتن حملت نتناً"([2]).

ثالثًا: القيام بالأنشطة المختلفة وعقد المسابقات الثقافية والدوريات الترفيهية

من صور العمل الخيري للقضاء على الإدمان لفت أنظار الفئات المختلفة إلى مجالات الاهتمام المجيدة والمفيدة التي ربَّما لم تُتَح للمدمنين المشاركة فيها أو الاطلاع عليها، والأخذ بأيديهم إليها، وتشجيعهم على الفوز فيها، واستنهاضِ هممهم نحوها لتحقيق أغراضٍ مشروعةٍ، وهو واجبٌ على العموم لخلق حالةٍ من النشاطِ والطاقة

---

١) الخلق الكامل، أ/ محمد أحمد جاد المولى(٩٨/١)، طبعة مؤسسة الرسالة.

٢) نحو أسرة بلا مشكلات، د/ محمود محمد عمارة ص(٦٢)، طبعة دار المنار، الطبعة: الأولى سنة (١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

داخل المجتمع المسلم، ألم تر أنَّ النبيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يستنهض همم أصحابه- مع ما هم عليه من الاستقامة- ، ويأخذ بعقولهم وقلوبهم إلى مثل هذه المعاني من المسابقات والأنشطة؟، إنك تجده- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تارة يسأل وينتظر الإجابة، وتارة يسابق ويثيب الفائز ولو بكلمة طيبة ترفع من شأنه، وأخرى يعدد أعمال البر أمام أصحابه سائلاً إياهم عمن أتاها في يومه ليأخذ بأيديهم وقلوبهم إلى مثل هذه المعاني الرائعة والاهتمامات النافعة، ومن ذلك مايلي:

أ- سؤالُه- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الصحابة جميعاً عن الشجرة التي لا يسقط ورقُها وإنها مثل المسلم فيما جاء عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَقَالَ هِيَ النَّخْلَةُ قَالَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ قَالَ لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَ هِيَ النَّخْلَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا(١)

ب- سؤالُهُ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن إتيان أعمال البر وقضاء الأوقات فيها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا قَالَ فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا قَالَ فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا قَالَ فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ"(٢)، وقد صنع معهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذلك وهم أصحاب القلوب السليمة والأخلاق المستقيمة فملأ عليهم نفوسهم وأوقاتهم وحياتهم، فكيف بمن هم دون ذلك؟.

رابعًا: السعي في ملء الفراغ الروحي لدى بعض الأفراد والجماعات

وذلك: بكثرة إقامة الأمسيات الثقافية، والندوات التعليمية بالنوادي والملاهي وأماكن اجتماع الناس، وإشباعهم بمعنى الانتماء للدين والوطن، ذلك أن الفراغ يعد من أخطر الأسباب التي تؤدي إلى هاوية الإدمان، وإذا لم يحسن المرء استغلال الفراغ الوقتي والروحي والعاطفي بالحق وقع في الباطل فضلَّ وأضلَّ سيَّما وقد "قتلت الحضارةُ الحديثةُ إنسانية الإنسان، وطمست إشراقة روحه، وحوَّلته إلى آلة تعمل معظم النهار وحيوان ينطلق سواد الليل، وحين يوفر التقدم العلمي والصناعي جُهد الإنسان البدني ويوفر له مزيداً من الوقت ثم يكون في نفسه وقلبه وروحه ذلك الفراغ، فهنا تحدث المشكلة"(٣)

---

١)أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّار،بَاب مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ(١٣/٤٢٠)(٥٠٢٧)

٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة، بَاب مَنْ جَمَعَ الصَّدَقَةَ وَأَعْمَالَ الْبِرِّ(٥/٢٢١)(١٧٠٧)

٣) منهج التربية الإسلامية،ا/محمد قطب(٢/١٥٩)، طبعة: دار الشروق.

إن الفراغ يدفع الشباب في كثير من بلادنا إلى العزلة واللامبالاة والتسيب، وعدم الاهتمام بما يدور حوله، وفي أثناء هذا الفراغ "يهرب بعض الشباب إلى المخدرات ، والبعض الآخر إلى الدين ، وبين الهاربين إلى الله ، والهاربين إلى الشيطان تزداد المشكلة مع الوقت تعقيداً وتحتاج إلى من يواجهها سواءٌ على مستوى الفكر أو السياسة أو الاقتصاد"([1])

خامسًا: المساهمة في إقامة الإعلام الإسلامي البديل.

لا يستطيع أحد أن ينكر ما للإعلام من أثر بارز وخطير في التوجيه والتربية، فوسائله المتعددة بين الإذاعة والتلفاز والسينما والمسرح والصحف والمجلات وغير ذلك تنتشر انتشاراً واسعاً ويسهُلُ التعامل معها، فإذا كانت النماذج التي تقدمها صالحة كان لها الأثر البالغ في بث الأخلاق الفاضلة والمثل الزاكية والتحصين من الرذائل والأدواء، أما إذا كانت تقدم النماذج السيئة فإنها تشجع على الانحراف وتكون أداة لنشر الفساد والإفساد، إنها "تلعب دوراً كبيراً في التكوين العقلي والفكري للأطفال والصغار، تسيطر على عقولهم وأذهانهم بأفلامها وبرامجها الخلابة الممتعة، وقصصها المختلفة، وتهزُّها هزاً عنيفاً، أو هزاً يسيراً، بقدر تأثير ما يقدَّمُ إليهم وكثيراً ما يغلُبُ عليها طابع الإفساد والهدم لا الإصلاح والبناء،إلا في نطاق ضيق محدود ووفق مصالح الآخرين ، إنه يخضع للتجار في منافعهم الاقتصادية، وللدول والحكومات في مصالحها السياسية،ويقدم مشاهد رائعة تستهوي القلوب وتسحر الأنظار،دون أن تعنيه مهمة الإصلاح والبناء"(٢)

إنك تجد هذه الوسائل قد باتت تعرض صوراً - لمن اعتبرتهم نجوماً- تدعو إلى الاستخفاف والاستهانة، بالإضافة إلى ما تنقله هذه الشاشات في الليل والنهار من صور للبارات في المنازل، وتصوير- من أسمتهم نجوم المجتمع- وهم يحتسون الخمر ويتعاطون المخدرات ولا يفترون عن التدخين، وما تسببه هذه المشاهد من انطباع الصور في أذهان بعض أبنائنا ومحاكاتهم، ومن المضحك المبكي- وشر البلية ما يضحك – أن بعض أجهزة الإعلام تدعو بوضوح إلى التدخين وتروج له، فما عساها تصنع نصيحة الناصحين وعظة الواعظين ومعاول الهدم قوية وأداة التخريب فتاكة؟

ويمكن للمؤسسات الخيرية أن تستعين على محاربة ذلك بمخاطبة الجهات الرقابية والأنظمة الإدارية عن طريق القنوات الشرعية والقانونية والاستعانة بأجهزة الدولة الرسمية في:

١- منع الإعلان عن التبغ وسائر مشتقاته وأنواعه

٢- تكثيف البرامج الإرشادية المبينة لخطر التدخين وأضراره

---

١) شباب في الزمن الخطأ، ا/ فاروق جويده ص(١٩)بتصرف.

٢) التربية والمجتمع، أبو الحسن الندوي،ص(٤١)، طبعة: دار القلم سنة(١٤١٢هـ-١٩٩١م).

٣- منع ظهور الممثلين في صور احتساء الخمور أو تعاطي المخدرات، أو حتى إشعال السيجار، وكذا منع الكلمات التي يتطرق الحديث فيها عن الخمر والشراب وغيره حتى لا يتقرر ما يتكرر.

إن على أهل الإصلاح والخير أن يساهموا في إقامة الإعلام البديل الذي يرفض هذه النماذج السيئة، فبدلاً من ذلك الإعلام الهابط الذي يصور بعض المدمنين- بقصد وبغير قصد- أنهم أهل رأي وعلم ومشورة، وإيهام بعض العوام بصلاحية اتخاذهم قدوة وأسوة، لا بد أن تتاح الفرصة لظهور أهل العلم والدين وتكريمهم وإذاعة برامجهم الحوارية ولقاءاتهم التعليمية، واعتبارهم أهل فضل ومكرمة، الإعلام الذي يُبَرِّزُ دور هؤلاء المصلحين في الدعوة والتعليم ومعالجة قضايا المجتمع والمساهمة في بناء المراكز الثقافية والمستشفيات العلاجية، حتى يظهر أثر إصلاح هؤلاء في المجتمع ومساهمتهم في تأسيس بنيته التحتية في مقابل دور الآخرين– ممن سموا أنفسهم نجوماً- في الدعوة إلى مساوئ الأخلاق.

ولست أدري لماذا لا تُنشر على صفحات الجرائد اليومية أفعال الخير ومشروعات البر حتى يتأسى الناسُ بها؟ لماذا حُرمنا قائمة الشرف التي تُدَوَّنُ فيها أسماءُ أهل الصلاح والمعروف؟ لماذا لا تُنشر أخبارُ حفظة القرآن والمتفوقين كما تُنشَرُ أخبارُ الحوادث والمجرمين؟، وقد قيل:اسكت عن الشر يندثر، وتكلم بالخير ينتشر.

<u>سادسًا:</u> المساهمة في المراكز العلاجية، والمستشفيات الصحية والوحدات التأهيلية.

ومن صور العمل الخيري في هذا المجال المساهمة في إعمار مراكز العلاج لمن لم يسعدوا بالوقاية من هذا البلاء ابتداءً إمَّا بإيفاد العلماء والوعَّاظ والمفكرين إليها واستدعاء الفقهاء والأطباء والمتخصصين لعقد المؤتمرات والندوات لإعادة التكوين النفسي والتأهيل التربوي للمدمنين والإباحيين، وإشراكهم في العمل الخيري التطوعي ولو بعيداً عن مناطقهم ابتداءً رجاء استغلال فراغهم وتهذيب نفوسهم وتبنِّي الجمعيات الخيرية الإنفاق علي ذلك لتقوية عزائمهم والأخذ بأيديهم، مع توفير الدعم المادي وإعطائهم بعض الهدايا الرمزية والمطبوعات الدورية والمنشورات العلمية، ولعلِّي لا أتجاوز هنا إن استحضرتُ صورة سيد الدعاة- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو يرسل أصحابه حيث الناس ليعلموهم ويثقفوهم ويردُّوهم، وربَّما أرسل السبعين من أصحابه، كما أرسل إلى "عضل، والقارة، ورعل، وذكوان، وعصية، وبني لحيان وغيرهم"([1]) وإما بالمساهمة المادية في البناء الحسي حتى تصير تلك المؤسسات عوناً للمجتمع وليكون لها الدور البارز في رفع معاناته.

---

١) يراجع: السيرة النبوية، ابن هشام(٣/٦٣-٦٤)، طبعة: دار المنار بدون تاريخ، وقد أورد البخاري مثله في صحيحه، كتاب الوتر، باب القنوت قبل الركوع وبعده (١/٣٤٠)(٩٥٧) عن أنس بن مالك(رضي الله عنه).

المبحث الخامس

صور العمل الخيري وأثرها في القضاء على ظاهرة التفكك الأسري

لقد شاء الله تعالى أن تبدأ الحياة البشرية بأسرة واحدة، خُلِقتْ بدءًا من نفسٍ واحدةٍ، ثم خُلِقَ منها زوجُها، فكانت تلك هي النبتة الأولى التي أثمرت وأينعت وأورقت بعد ذلك، تكونت ابتداءً من رجلٍ وامرأةٍ بينهما من اللُحمةِ والتماسك ما عبَّرَ عنه القرآن الكريم ولفتَ الأنظارَ إليه بقوله سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾(١) ، إنَّ أحدهما خُلِقَ من جزءٍ من الآخر، فهو يحمله بين جنباتهِ يسيرُ به حيث سار ويمضي معه، بل به حيث أراد، إنهما كيانٌ واحد وتكوينٌ واحد، ذكَّرَ الله تعالى به عموم الناس لأنهم جميعًا في ذلك سواء.

ولمكانة الأسرة في حياة الناس واستقرار المجتمعات جعل الإسلام قوامها على الرحمة والمودة والسكينة والاستقرار، فإذا هبت رياح التفكك بين أفرادها وجبت المداواة، "وفي العصر الحديث هبت على الأسرة رياح التغريب، مما زحزحها عن خصائصها وقيمها ففقدت ريادتها للمجتمع، ومن هنا ظهرت آثار التفكك الأسري"(٢)

لتفكك لغة مأخوذٌ من "فكَّ الشيئَ فكَّاً إذا فصل أجزاءه، والفكَكُ: انفراجُ المنكب عن مفصله ضعفاً واسترخاءً ، وانفك الرجل من طلب فلانٍ: ضعُفَ، وتفكك: إذا اضطرب في كلامه ومشيه"(٣) ، فالكلمة يدور معناها على: الفصل والضعف والاضطراب، وكل هذه المعاني تجتمع في التفكك الأسري، فإنه يبدأ بالضعف في العلاقة بين الزوجين حتى يمر بالاضطراب وينتهي بالفراق والانفصال

صطلاحا فكُّ الترابط الذي يكون بين الأشياء،سواءٌ كان الرباطُ حسياً أم معنوياً.

والأسرة في اللغة: مأخوذة من أسرَ، ومعناه: الحبس، وهو الإمساك،ومن ذلك الأسير، وأسرة الرجل: رهطه ،لأنه يتقوى بهم(٤)،وقال أبو جعفر النحاس:"الأسرة بالضم :أقارب الرجل من قِبَلِ أبيه"(٥) واصطلاحاً: هي أصغر وحدة في النظام الاجتماعي.

---

١) سورة النساء ، من الآية رقم (١).
٢) التفكك الأسري الأسباب والآثار د.أمنية الجابر ص(٤٠) سلسلة كتاب الأمة القطري، الطبعة الأولى سنة(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).
٣) المحيط في اللغة(٢٣/٢).
٤) معجم مقاييس اللغة (١٠٧/١)
٥) تاج العروس (٥١/١٠).

م ص لعمل لخي لمساء في لقضا على لتفك لأس :

أولًا: عقد الندوات التعليمية والدورات التوعوية وورش العمل التثقيفية للشباب في مرحلة الزواج وما قبل الزواج وما بعد الزواج، والسعي في إزالة الأمية الدينية والاجتماعية والأسرية عند بعضهم، والإعلان عن ذلك في المراكز والتجمعات، واعتبار ذلك ثقافة عامة شعبية وأصلاً من أصول الارتباط الوثيق والعقد الغليظ، ولا حرج أن تخاطب المؤسسات الخيرية تلك الجهات الحكومية المختصة بوجوب حضور مثل هذه الدورات وإعطاء الدارسين فيها شهادات معتمدة تقدم عند توثيق عقود الزواج، إذ الأمر هنا يتعلق بمجتمع صغير سينشأ داخل المجتمع الكبير، لذا كان من الحكمة أن يقوم على أسسٍ علمية معتمدة، وإلاَّ صارت الأسرة الحديثة عبئاً ثقيلاً وعالة على الجميع، ويُستأنس في ذلك بالتوجيهات النبوية الرشيدة إلى حسن اختيار الزوجين ممن تقوم عليهما أركان الأسرة ويترتب بهما تحقيق الأغراض المشروعة من قيامها، ومن ذلك:

١- الإرشاد إلى حسن الاختيار واعتماد القيم الثابتة لا المتغيرة أساساً فيه.

واعتبار الدعائم الأصيلة ركناً قائماً في ذلك، ففي الحديث عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ "(١).

ولفت النظر إلى مناطات قبول المرأة للارتباط بالرجل أو رفض ذلك، ومن هذا ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ، فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ» "(٢)

٢- اعتبار الرغبة والرضا والحرية في الاختيار من أسس الارتباط، فقيام هذه الحياة الزوجية ينبغي أن يكون بالرضا والتوافق لا بالإكراه والاضطرار،وفي هذا جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "لَا تُنْكَحُ الثَّيِّبُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب النِّكَاحِ، بَاب الْأَكْفَاءِ فِي الدِّينِ وَقَوْلُهُ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنْ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ (٣٣/١٦) (٤٧٠٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب نكاح ذات الدين(١٠٨٦/٢) (١٤٦٦)

٢) أخرجه ابن ماجة في سننه ، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الْأَكْفَاءِ (٦٣٢/١) (١٩٦٧) ، قال شعيب الأرناؤوط:"حسن لغيره،" ، يُرَاجَع: سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، طبعة: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م). وذكره الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١٧٩/٢)(٢٦٩٥)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، يُرَاجَع: المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤١١ه – ١٩٩٠م).

الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ، وَإِذْنُهَا الصُّمُوتُ"(١)
٣- قيام عقد الزواج على التأبيد ووجوب حمايته بسياج من الأخلاق الحميدة مع توفر الإخلاص والمحبة، لهذا جعل القرآن الكريم بإزائه المعاني الإنسانية الدائمة والمستقرة غير المضطربة كالسكن والمودة والرحمة والمحبة والمعاشرة والعشرة والخلق من نفس واحدة ما يعني الارتباط والتلازم والاستقرار.
٤-تنظيم الحقوق والواجبات، والاعتراف بالأدوار، والتعريف بأفراد الأسرة تبعاً للأدوار الملقاة على عاتق كلٍ، فالزوجة والزوج، ثم الأب والأم، ثم الابن والابنة، واختصاص كل فرد في هذه المنظومة بحق يطلبه وواجب يؤديه، أو ما سمعت قول الله:﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(٢)، وقوله:﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(٣)، وقوله:﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٤).
ثانيًا: القيام بالدور التثقيفي والإعلامي من خلال توعية القائمين على مؤسسات التضامن الاجتماعي والتكافل الأسري بمسؤلياتهم نحو المجتمعات التي يوجهون إليها برامجهم، وعدم الاقتصار على الدعم المادي أو المساعدات الاقتصادية، والتنبيه على أهمية المساعدات النفسية والتربوية في خلق نوع من الترابط والتماسك، فمن العجيب في دنيا الناس أن قد تجد الموظف الذي تُخَوَّل له مهمة التوجيه والإرشاد عارٍ تماماً من التشبع أصلاً بذلك ما يجعل هذه المؤسسات أثراً بعد عين.
إن هذه المؤسسات لا زالت في حاجة ملحة إلى تنصيب بعض الأخصائيين الاجتماعيين المؤهلين والقادرين على لمِّ الشمل ورأب الصدع، واعتبارهم- مع أهل الخير من القائمين على المؤسسات الخيرية- مرجعية عظيمة داخل هذه المؤسسات، وبدلاً من إنفاق الأموال الطائلة على كفالة الأسر المشردة والمفككة، يُستعان بأهل

---

١) أخرجه ابن ماجة في سننه ، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ اسْتِئْمَارِ الْبِكْرِ وَالثَّيِّبِ (٦٠١/١) (١٨٧١) واللفظ له ، وأبو داوود في سننه ، كِتَابُ النِّكَاحِ، باب فِي الِاسْتِئْمَارِ (١٩٤/٢)(٢٠٩٤) بلفظ:" لَا تُنْكَحُ الثَّيِّبُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ وَلَا الْبِكْرُ إِلَّا بِإِذْنِهَا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِذْنُهَا قَالَ أَنْ تَسْكُتَ" ، والترمذي في سننه ، بَابُ مَا جَاءَ فِي اسْتِئْمَارِ البِكْرِ وَالثَّيِّبِ (٤٠٦/٢)(١١٠٧) وقال: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وغيرهم.
٢)سورة البقرة من الآية رقم (٢٢٨).
٣)سورة النساء ، الآية رقم (٣٤).
٤)سورة البقرة ، الآية رقم (٢٣٣).

الخبرات وبالقليل من الأموال لمنع التفكك والتشرد أساساً والمساعدة في حل الإشكالات وإذابة العداوات والخصومات، وهو نوع من التضامن والكفالة المعنوية الأعظم أثراً والأعمَ فائدة.

والمتأمل في آي القرآن الكريم المتعلقة بمثل هذه الخلافات الأسرية والنزاعات الاجتماعية يلمح أسبقية التوقع، والسعي لمعالجة أسباب النزاع قبل أن يقع، وهو الأسلم والأنفع، ما يعني أهمية الدراسة والوعي لتوقُّع ذلك وتفاديه، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾(١)،وقال سبحانه:﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾(٢)، وقال:﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾(٣)، وفي الآيات الكريمة نلمح:

١- تكرار مادة(خ-و-ف) فيها ما يوحي بالدلالة على وجوب توقع الأذى وتفاديه قبل الانغماس فيه، "أي إن توقعت امرأةٌ من بَعْلِهَا نُشُوزاً: أي تجافياً عنها وترفعاً عن صحبتها كراهة لها ومنعاً لحقوقها،أوْ إعْرَاضاً بأن يُقِلَّ محادثتَها ومؤانستَها لما يقتضي ذلك من الدواعي والأسباب"(٤)، وقال الرازي:"وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَوْفَ عِبَارَةٌ عَنْ حَالٍ يَحْصُلُ فِي الْقَلْبِ عِنْدَ ظَنِّ حُدُوثِ أَمْرٍ مَكْرُوهٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ"(٥).

٢- جماعية الخطاب﴿وَإِنْ خِفْتُمْ- فَإِنْ خِفْتُمْ- وَاللَّاتِي تَخَافُونَ- وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ﴾ ما يدل على جماعية المسؤلية في المحافظة على صفاء البيئة الاجتماعية.

وهاتان الدلالتان تستدعيان الدراسة المسبقة والتعرف المبكر على أسباب وقوع الإشكالات الأسرية والسعي في علاجها، بل والتضافر على ذلك باتخاذ الإجراءات اللازمة والمناسبة، وسن القوانين اللازمة لإزالة الأمية الدينية في فهم الحياة الزوجية، حتى تستقيم المجتمعات ويحدث التواؤم والترابط.

ثالثًا: انشاء المكاتب الخاصة بشئون الأسرة، بإشراف علماء الدين والاجتماع والتربية، ما يمكن أن نسميها ب "مؤسسات الإرشاد الزواجي، وهي مؤسسات تهتم بكل ما يخص الأسرة في جميع مراحلها بدءً بالتأسيس وتقديم خدمات المشورة للراغبين في الزواج، مروراً بالمساعدة المادية والمعنوية في تدبير أمور الحياة

---

١)سورة النساء ، الآية رقم (٣).

٢)سورة النساء، من الآية(١٢٨).

٣)سورة النساء ،من الآيتين (٣٤-٣٥).

٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،أبو السعود العمادي(المتوفى: ٩٨٢هـ)(٢٣٩/٢)، طبعة: دار إحياء التراث العربي - بيروت

٥) التفسير الكبير، أبو عبد الله فخر الدين الرازي(المتوفى: ٦٠٦هـ)(٧١/١٠)، طبعة: دار إحياء التراث العربي–بيروت، الطبعة: الثالثة- (١٤٢٠ه)-.

الزوجية، وانتهاءً بحل الإشكالات والسعي في إزالة أسباب الخلافات"([1])، وتفعيل دورها في المجتمع، مع ضرورة أن يتوفر لها عدد من المؤهلين في الثقافة الأسرية تكون مهمتهم التدخل السريع لحل المشكلات الأسرية والزوجية، والحيلولة دون تفاقم الأمور.

ولا بد من الاستعانة فيها بعدد من النساء المتخصصات اللبيبات اللائي يُحسنَّ تعقُّلَ الأمور ووضعها في نصابها الصحيح اللائق بها، وتولّيهنَّ المسائل الخاصة بالمرأةِ وحياتَها الزوجية، ولا أكون مبالغاً إن استرشدتُ في ذلك بصنيع رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في ردِّ الأمور الخاصة بالنساءِ إلى ثلة من زوجاته سيما عائشة وحفصة رضي الله عنهما.

يهـ لإ شا ا جي لى:

١- تخفيف التوتر والقلق والعداوة بين الزوجين

٢- وقف ردود أفعالهما العدائية في التفاعل الزواجي

٣- التعرف على أسباب الصراع وتبصير الزوجين به.

٤- تنمية الدافع لديهما لحل الصراع والتنافس الذي قد يحدث بينهما.

٥- مساعدتهما على توفيق آرائهما، والوصول إلى حلولٍ متوسطةٍ لتسوية الخلافات الناشئةِ بينهما.

٦- تشجيع كل منهما على التعبير عن همومه، والتعرف على هموم الطرف الآخر.

٧- مساعدتهما على تحسين ظروفهما الأسرية التي لها علاقة بالخلافات.

٨- مساعدة كل منهما على تعديل مفهوم الذات، ومفهوم الزوج الآخر عنده، مما يجعله يحسن الظنَّ به، ويتفاعل معه تفاعلاً إيجابياً حسناً([2]).

رابعًا: التواصل الفعَّال بين مؤسسات العمل الخيري والمؤسسات التعليمية لدراسة أسباب التفكك والسعي في إزالتها.

حيث يمكن لمؤسسات العمل الخيري التواصل مع بعض المؤسسات التعليمية والتربوية والمساهمة في تقديم المقترحات العلمية التي تراها مناسبة لتفعيل ذلك التواصل وتحقيق التعاون نحو حل المشكلات الاجتماعية، وكذا المساهمة في تقديم المقترحات الدراسية لتتحقق المشاركة الفعالة بين الدارسين وقطاعات المجتمع المختلفة، والعمل على ضرورة إدخال بعض البرامج الخاصَّةِ بالأسرة وبنائها وحل المشكلات المتعلقة بها، في مناهج السنوات الدراسية - سيما الثانوية والجامعية -، واعتبار ذلك من المقررات الدراسية المهمة إذ فيها وسائلُ التعايش السليم الهانئ، وهو أولى بالدراسة من كثيرٍ من المقررات الدراسية التي لا يُغني بعضُها ولا يُسمن من جوع.

---

١)التفكك الأسري..الأسباب والآثار، د.صالح بن ابراهيم الصنيع، ص(١٠٢)، طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر، الطبعة: الأولى (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

٢) يُراجَع: المرجع السابق، نفس الصفحة.

ومن هذا الباب يمكن أن يُكلَّف بعضُ الشباب المقبلين على الزواج بالقيام ببعض الأعباء المعيشية واختبار مدى قدرتهم على إتيانها والإبداع فيها ، واعتبار ذلك مسوغًا مجتمعيًا وقانونيًا لصلاحيته في تكوين الأسرة، وكذا تُكلَّفُ بعضُ الفتيات المقبلات على الزواج بنظير ذلك مما يتناسب مع أنوثها الحالية وأمومتها المستقبلية ،ولعلها الباءة المنصوص عليها في بعض الأحاديث عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»(١)

قال ابن حجر: "خَصَّ الشَّبَاب بِالْخِطَابِ لِأَنَّ الْغَالِب وُجُود قُوَّة الدَّاعِي فِيهِمْ إِلَى النِّكَاح بِخِلَافِ الشُّيُوخ . وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى مُعْتَبَرًا إِذَا وُجِدَ السَّبَب فِي الْكُهُول وَالشُّيُوخ أَيْضًا، و(الْبَاءَة) : الْقُدْرَة عَلَى مُؤَن النِّكَاح، وَأَصْله الْمَوْضِع الَّذِي يَتَبَوَّؤُهُ وَيَأْوِي إِلَيْهِ، لِأَنَّ مِنْ شَأْن مَنْ يَتَزَوَّج الْمَرْأَة أَنْ يُبَوِّئهَا مَنْزِلًا"(٢)

ولك أن تتخيل ما في هذا الإجراء من تغيير نظرة الشباب المقبلين على الزواج لمفهوم الأسرة، فليست شهوةً تُقضَى، ولا رغبةً تتحقق، بل هي مسئولية وتكليف، فمن لم يكن لها بأهلٍ فلا بأس من التحاقه بالمراكز المتخصصة التي تعيد تأهيله وتدريبه، حتى يُنتج للمجتمع الأسرة الصالحة المرتجاة.

خامسًا: تأهيل المصلحين من أهل الإنصاف والعدالة.

فإذا كان الله تعالى قد أرشدنا إلى فضيلة الإصلاح بين طائفتين اقتتلتا، فالإصلاح بين الزوجين ممن وقعت بينهما بعض الخلافات أولى، قال الله تعالى:﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٣)، وقال:﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾(٤)، وقال سبحانه:﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٥).

وقال:﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾(٦).

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ النِّكَاحِ بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، لِأَنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ» وَهَلْ يَتَزَوَّجُ مَنْ لاَ أَرَبَ لَهُ فِي النِّكَاحِ" (٣/٧) (٥٠٦٥) ، ومسلم في صحيحه، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤَنَهُ، وَاشْتِغَالِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ(١٠١٩/٢)(١٤٠٠) واللفظ له.

٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (٢٩٣/١٤)

٣) سورة الحجرات الآيتان (٩-١٠).

٤) سورة الأنفال ، من الآية رقم (١).

٥) سورة النساء ، الآية (١١٤).

٦) سورة النساء ، الآية رقم (٣٥).

قال الطاهر بن عاشور: "وَالْآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى وُجُوبِ بَعْثِ الْحَكَمَيْنِ عِنْدَ نِزَاعِ الزَّوْجَيْنِ النِّزَاعَ الْمُسْتَمِرَّ الْمُعَبَّرَ عَنْهُ بِالشِّقَاقِ، وَظَاهِرُهَا أَنَّ الْبَاعِثَ هُوَ الْحَاكِمُ وَوَلِيُّ الْأَمْرِ، لَا الزَّوْجَانِ، لِأَنَّ فعل فَابْعَثُوا مُؤْذِنٌ بِتَوْجِيهِهِمَا إِلَى الزَّوْجَيْنِ، فَلَوْ كَانَا مُعَيَّنَيْنِ مِنَ الزَّوْجَيْنِ لَمَا كَانَ لِفِعْلِ الْبَعْثِ مَعْنًى، وَصَرِيحُ الْآيَةِ: أَنَّ الْمَبْعُوثَيْنِ حَكَمَانِ لَا وَكِيلَانِ"(١) ولا يصح أن يحكم الجاهل، لذا كان تأهيله علميًا وتربويًا لأجل فض هذه الخصومات من أبواب الضرورات.

وقال:﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(٢)

ومن اللافت للنظر هنا في هذه الآيات المباركات أن كل حديث عن الإصلاح ووجوبهِ لا بد أن يصحبَهُ حديثٌ عن التقوى أو البر أو محبة الإصلاح والرغبة الحقيقية فيه ما يعني أن بعض صور الإصلاح قد لا تكون حقيقية فلا تتوافر فيها هذه المؤهلات مما يضيع جهود المصلحين سدى ويبددها هباءً.

ومن ثم كان تأهيل هؤلاء المصلحين والمصلحات نفسياً وتربوياً واجتماعياً من الصور المهمة في القضاء على التفكك، سيما وقد علّق الله تعالى أمر التوفيق والإصلاح عليهما ف"إِذَا ظَهَرَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ شِقَاقٌ وَاشْتَبَهَ حَالُهُمَا بَعَثَ الْإِمَامُ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ إِلَيْهِ وَحَكَمًا مَنْ أَهْلِهَا إِلَيْهَا،رَجُلَيْنِ حُرَّيْنِ عَدْلَيْنِ، لِيَسْتَطْلِعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَكَمَيْنِ رَأْيَ مَنْ بُعِثَ إِلَيْهِ إِنْ كَانَتْ رَغْبَتُهُ فِي الْوُصْلَةِ أَوْ فِي الْفُرْقَةِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْحَكَمَانِ فَيُنْفِذَانِ مَا يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ رَأْيُهُمَا مِنَ الصَّلَاحِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾ يَعْنِي:الْحَكَمَيْنِ ﴿يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ يَعْنِي: بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَقِيلَ: بَيْنَ الْحَكَمَيْنِ"(٣).

<u>سادسًا:</u> المساهمة العملية في حل بعض المشكلات الأسرية المؤدية إلى التفكك.

مثل المساعدات المادية والعينية للأسر الفقيرة، ورفع المستوى الاقتصادي المتردي لبعض الأسر الفقيرة التي تتصدع وتتفكك بسبب ذلك، والاهتمام بها من حيث "المسكن والغذاء واللباس والتعليم، أو تبني هذه المؤسسات للمشاريع الصغيرة التي تساعد تلك الأسر على مواجهة متطلبات الحياة المتزايدة كتكاليف الزواج، والمساندة الاجتماعية للمتزوجين الجدد، ورعاية ضحايا الأسر المفككة، خصوصاً صغار السنِّ منهم"(٤)

---

١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٤٦/٥).

٢) سورة النساء ، الآيتان (١٢٨-١٢٩).

٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)(٢٠٩/٢) ، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، طبعة: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة(١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

٤) التفكك الأسري..الأسباب والآثار، د.صالح بن ابراهيم الصنيع، ص(١٠١).

ومن بين هذه الأنشطة: اختيار أهل الكفاءة والثقة وتنصيبهم في لجان رئيسة وأخرى فرعية للمساهمة العملية في نزع فتيل الاشتعال من بعض البيوت التي تحتدم فيها الخلافات، وتخصيص الدعم المالي والنفسي لتلك اللجان حتى تقوم بدورها على أوسع نطاقٍ وأشمله، وما يلزم ذلك من إعداد القوائم الخاصة بكفاءة القائمين على تلك اللجان ، ونظيرها من القوائم الخاصة بتلك الأسر وتشخيص أصل الخلاف بينها وكتابة التقارير التي أسفرت عنها تلك الزيارات الإصلاحية لها، وتعميم التجربة حال نجاحها في كل الأقطار والديار، والإعلان عن طرق التواصل مع هذه اللجان الإصلاحية في وسائل الإعلام المختلفة، واعتبار ذلك بابًا من أبواب التخفيف عن كاهل المحاكم القضائية ومحاكم الأسرة سترًا لحال الأسرة وحفاظًا على أسرارها، وصيانًة لأبنائها، وما في ذلك كله من سرعة الأداء وقلة التكاليف.

ومن صور الإعانة الخيرية للقضاء على بعض أسباب المشاكل الأسرية، المساهمة في كفالة الأيتام، تزويج العزاب، قضاء ديون الغارمين، السعي على الأرامل، وإعادة تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة وغيرها مما يساعد على تحقيق الأمن والسلامة للمجتمع.

سابعًا: تفعيل دور الأئمة والدعاة الإصلاحي ،والتنسيق معهم لحل بعض المشكلات الأسرية

وذلك عن طريق القيام بدور الوساطة بين أهل الكفاءة والثقة وبين أرباب المشكلات الأسرية، والسعي في التنسيق بينهما لأجل إيجاد الحلول العملية لتلك المشكلات الأسرية، وتدبير عقد اللقاءات مع أئمة المساجد أو القيام بدور الوسيط في الحل، سيما مع بعض الأزواج والزوجات ممن يستحيون من عرض مشاكلهم، ورفعها إلى هؤلاء الأئمة والمصلحين، والمساهمة في مطالبة المسؤلين بضرورة إنشاء مكاتب ملحقة بالمساجد والمؤسسات الدينية وجعل هذا النشاط الاجتماعي من أهم متطلبات والتزامات هذه الكوادر العاملة بتلك الهيئات الدينية، واعتبار ذلك جزءً أصيلاً من مهماتهم الدعوية والتزاماتهم الوظيفية مع ضرورة كتابة التقارير الدورية عن هذه الأنشطة ودورها الفعلي في خدمة قضايا المجتمع.

م لآثا لتي تتحة بتفعيل لعمل لخي لة لم سسي في ه

لاتجاها لمختلفة ما يلي:

١.تحقيق الاستقرار الاجتماعي بين أفراد المجتمع ، والقضاء على الطبقية بكل أشكالها، وخاصةً بين الأغنياء والفقراء،والتخفيف من وقوع الجرائم في المجتمع

٢.انتشار نطاق الرعاية الاجتماعية بكافة صورها من خلال التطوع بأعمال الخير والإغاثة، ومساعدة المرضى والمنكوبين والمحتاجين.

٣.توفُّرُ الأسباب المساعدة على نشر التلاحم والتآزر بين أفراد المجتمع، والتواصل بينهم ما يؤدي إلى تمتين أواصر المحبة والإخاء

٤.المساهمة في مكافحة ظاهرة الفقر بتقديم المساعدات المالية المباشرة، وتقديم الخدمات المختلفة للفقراء بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال تنمية مهارات الفقراء عن طريق التعليم والتأهيل.
٥.المشاركة في إعادة توزيع الدخل بين فئات المجتمع من خلال تقديم الإعانات، والذي يؤدي بدوره إلى زيادة الرخاء الاجتماعي العام.
٦.استثمار أوقات الفراغ في النافع المفيد للفرد والجماعة.
٧. توظيف الطاقات البشرية والمادية والمعنوية لجميع المتطوعين بشكل عام وفئة الشباب أو المتعطلين عن العمل بشكل خاص، ما يؤدي إلى الارتقاء بالمجتمع نحو تحقيق الأفضل.
٨.انعكاس حجم العمل التطوعي والخيري داخل أي مجتمع على حجم اقتصاده القومي وزيادته بشكل ملاحظ، بما يسببه م فرص الاستثمار وتشغيل العاطلين ، وزيادة الإنتاج.
٩.الحفاظ على القيم الإسلامية النبيلة والمثل الفاضلة، والأخلاق الرفيعة التي كانت الباعث الأساس لهذه الأعمال التطوعية، وإعطاء صورة طيبة عن المجتمع المسلم الذي تتوافر فيه مقومات النهضة والحضارة والقوة والتماسك.
١٠.المحافظة على البيئة العامة وحمايتها من كافة أنواع التلوث السمعي والبصري والأخلاقي ، والتأكيد على روح الإخاء والتعاون والتعاطف، بما يساعد على تقليل الحسد والحقد والغل، وما يتبع ذلك كله من الاستقرار النفسي والعصبي عند جمهور الناس.
١١.تدعيم الخدمات الصحية ، وتوفير الأدوية العلاجية ، والمساعدة على تعافي الأمة عمومًا من أمراضِها العضوية والنفسية.
١٢.صقل مهارة المتطوع ، وبناء شخصيته العلمية والعملية والنفسية والتربوية بما يتناسب مع حجم إمكانياته وقدراته.
١٣.تفعيل دور الأفراد والمؤسسات في بناء أوطانهم وإشراكهم في التأسيس لذلك بحب ورغبة، ما يساعد في خلق روح الحرص على القيام بالمصالح العامة والمحافظة على الأوطان ومقدراتها.
١٤.التعرف على الثغرات التي تشوب نظام الخدمات داخل كل المجتمعات والسعي في سدِّها والقضاء على جوانب الخلل الموجودة بها.
١٥. إتاحة الفرصة للتعبير عن الآراء والأفكار المختلفة في الموضوعات المتعددة، ما يقوي الرغبة في التعلم والقدرة على اتخاذ القرار والشعور بالقيمة الحقيقية للفرد وقدرته على بناء مجتمعه.

لخاتمة

وتشمل أهم النتائج والتوصيات

لقد ظهر من خلال البحث ما يلي:

١-العمل الخيري هو:عموم البذل المادي والمعنوي الذي يقدمه المرء لإقامة المصالح المعتبرة شرعاً، وصوره أكثر من أن يُحصيها العدُّ،ذلك أنها تتفاوت حسب الحاجة والبيئة.

٢-من غايات العمل الخيري:القيام بمصالح الناس الاجتماعية والاقتصادية والتربوية وتحقيق كفايتهم وسد خلاتهم وإغنائهم،وهو ما يندرج ضمن مقاصد الشريعة الإسلامية.

٣- لا يعتمد العمل الخيري-في الأصل-على تحقيق أي مردودٍ مادي أو أرباح خاصة،بل يُؤدي إلى تَعزيز دور القيم الدينية والأخلاق الحميدة في النهوض بالمجتمعات.

٤-التَّوجُّهُ المعنوي والأدبي في الأعمال الخيرية أهم وأبقى من العطاءات المادية.

٥-عدم اعتبار المؤسسات الخيرية بديلة عن الحكومات الإدارية،والرجوع إليها في الاستعانة بسن القوانين والتشريعات، واعتبارهما شريكين متعاونين لتحقيق التنمية والرخاء.

ومن أهم التوصيات

١-توسيع دائرة العمل الخيري المجتمعي في كل المجتمعات والأوساط،لبث الأفكار الصحيحة والقضاء على الأفكار الهدَّامة،وإقامة مكاتب خاصة بذلك في جميع المؤسسات والمصالح يُوكلُ إليها أمرُ التربية والتهذيب.

٢-السعي الحثيث نحو استصدار القوانين،وسنِّ التشريعاتِ الموجبةِ لتفعيل العمل الخيري في سائر المجتمعات،واعتبار ذلك من الواجبات الوطنية لازمة السداد والتنفيذ.

٣-التأسيس لقاعدة الشراكة والانتدابات الإدارية والتنفيذية في المؤسسات الخيرية،والاستعانة بالخبرات الدولية في ذلك.

٤-تفعيل دور العنصر النسائي في المؤسسات الخيرية،سيما فيما يتعلق بشأن المرأة والأسرة.

٥-إشراك المؤهلين من رجال العلم والدين والاجتماع والتربية في الإشراف على المشروعات الخيرية وتوجيهها.

واللهَ أسأل أن يجعل هذا العمل صالحاً ولوجهه خالصاً..... اللهم آمين.

قائمة ببعض المراجع والمصادر

أولاً: القرآن الكريم ، سبحان من أنزله.

ثانياً:المصادر البشرية.

١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن الماوردي، طبعة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م).

٢) الاختيار لتعليل المختار، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي، تحقيق: عبد اللطيف محمد عبد الرحمن، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م)،الطبعة: الثالثة.

٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، طبعة: دار مكتبة الحياة، سنة (١٩٨٦م).

٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،أبو السعود العمادي(المتوفى: ٩٨٢هـ) ، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت

٥) الإسلام والأوضاع الاقتصادية، محمد الغزالي، طبعة: دار نهضة مصر، الطبعة: الأولي.

٦) الإسلام والتنمية الاقتصادية د. شوقي دنيا، طبعة: دار الفكر العربي ، القاهرة (١٩٧٩م).

٧) الإسلام والمناهج الاشتراكية، محمد الغزالي، طبعة : دار نهضة مصر، الطبعة : الأولي

٨) الأعمال التطوعية في الإسلام، د/ محمد بن صالح القاضي، بحث مقدم إلى اللقاء السنوي الرابع للجهات الخيرية بالمنطقة الشرقية، جمعية البر الخيرية بالدمام، الطبعة: الثانية(١٤٢٥ه-٢٠٠٥م)

٩) أفكار جديدة في العمل الخيري مع مستندها الشرعي، د. فهد بن عبد الرحمن اليحيي ، بحث مقدم لمؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث ، دبي ٢٠٠٨م.

١٠) اقتصاد الفقر بؤس وأزمات ، د. زيد بن محمد الرماني، طبعة : مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

١١) البركة في فضل السعي والحركة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابي الحبشي، طبعة المكتبة التجارية بمصر.

١٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد أبو الفيض مرتضى الزَّبيدي، طبعة دار الهداية.

١٣) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور(المتوفى: ١٣٩٣هـ) ، طبعة: الدار التونسية للنشر– تونس، سنة (١٩٨٤هـ).

١٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت

١٥) التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، محمد عَبْد الحَيّ الكتاني (المتوفى: ١٣٨٢هـ)، طبعة: دار الأرقم – بيروت ، الطبعة: الثانية.

١٦) التربية والمجتمع، أبو الحسن الندوي، ، طبعة: دار القلم سنة(١٤١٢هـ-١٩٩١م).

١٧) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٠٠-٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، طبعة: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).
١٨) التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي(المتوفى: ٦٠٦هـ)، طبعة: دار إحياء التراث العربي–بيروت، الطبعة: الثالثة- (١٤٢٠ه)-.
١٩) التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، طبعة: دار الجيل الجديد – بيروت الطبعة: العاشرة (١٤١٣هـ).
٢٠) التفكك الأسري والآثار د. أمنية الجابر، سلسلة كتاب الأمة القطري، الطبعة الأولى سنة(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).
٢١) التفكك الأسري.. الأسباب والآثار، د. صالح بن ابراهيم الصنيع، طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر، الطبعة: الأولى (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).
٢٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، طبعة: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى(١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م).
٢٣) التيسير بشرح الجامع الصغير، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، طبعة: مكتبة الإمام الشافعي - الرياض – (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، الطبعة: الثالثة.
٢٤) جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٩٨٧م).
٢٥) الخلق الكامل، أ/ محمد أحمد جاد المولى، طبعة مؤسسة الرسالة.
٢٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي البكري (المتوفى: ١٠٥٧هـ) ، طبعة: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الرابعة، (١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م).
٢٧) سنن ابن ماجه ،أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، طبعة: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
٢٨) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى:١٤٠٣هـ)، طبعة: دار القلم – دمشق، الطبعة: الثامنة – (١٤٢٧هـ).
٢٩) السيرة النبوية، ابن هشام، طبعة: دار المنار بدون تاريخ.
٣٠) شرح صحيح البخارى ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، طبعة: مكتبة الرشد - السعودية / الرياض ، الطبعة : الثانية(١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)
٣١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، طبعة: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة (١٤٠٧هم).
٣٢) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، طبعة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

٣٣) العمل الخيري في ضوء القواعد المقاصدية، د/ تمام عودة العساف، د/ محمد حسن أبو يحيى، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، سنة (١٤٣٤هـ ٢٠١٣م).
٣٤) العمل الخيري وآثاره الاقتصادية-حالة فلسطين الداخل عام(١٩٤٨م)،رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، سنة(٢٠١٢م) للباحث: أنس إغبارية.
٣٥) العمل الخيري وأثره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي، دراسة حالة- قطاع غزة - رسالة مقدمة لكلية التجارة بالجامعة الإسلامية بغزة ، للباحث: محمد ابراهيم أبو عليان، سنة(١٤٣٥هـ-٢٠١٤مـ).
٣٦) العمل والضمان الاجتماعي في الإسلام ، صادق مهدي السعيد، طبعة مطبعة المعارف، بغداد سنة (١٩٧٦مـ)
٣٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، طبعة: دار المعرفة - بيروت ، (١٣٧٩ه).
٣٨) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني(المتوفى: ١٢٥٠هـ) طبعة: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤١٤هـ)
٣٩) الفروق اللغوية ، أبو أيوب بن موسى الحسيني الكفوري أبو البقاء الحنفي، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت.
٤٠) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (المتوفى: ٣٩٥هـ) ، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، طبعة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
٤١) الفقه الإسلامي وأدلته ، د. وهبه الزحيلي، طبعة دار الفكر، دمشق، سوريا،
٤٢) قواعد الوسائل وأثرها في تنمية العمل الخيري، قطب الريسوني، بحث مقدم في مؤتمر العمل الخيري
٤٣) القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ، طبعة: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الأولى، (١٤٠١ه).
٤٤) كنز العمال ، علي المتقي ، طبعة دار اللواء ، الرياض (١٣٩٩هـ).
٤٥) كيف عالج الإسلام البطالة؟ د/ زيد بن محمد الرماني، هدية مجلة الأزهر لشهر ربيع الآخر (١٤٢١هـ).
٤٦) لسان العرب ،ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي، طبعة :دار المعارف، القاهرة.
٤٧) لسان العرب ،محمد بن مكرم بن منظور ، طبعة : دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى.
٤٨) لسان العرب، ابن منظور، طبعة : دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة: الأولى سنة(١٩٨٨مـ).
٤٩) المجتمع المتكافل في الإسلام ، د. عبد العزيز الخياط ، طبعة دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الثالثة (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

٥٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى:٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، طبعة : مكتبة القدسي، القاهرة، سنة (١٤١٤هـ،١٩٩٤م)
٥١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، طبعة: دار الفكر، بيروت – (١٤١٢هـ).
٥٢) المجموع شرح المهذب للشيرازي، محيي الدين بن شرف النووي ، تحقيق محمد نجيب المطيعي ،طبعة مكتبة الإرشاد ،جدة (السعودية).
٥٣) المخدرات في رأي الإسلام ، د. حامد جامع ، محمد فتحي عيد ، سلسلة البحوث الإسلامية (١٩٧٩م).
٥٤) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤١١١٩٩٠م).
٥٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل(المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)،
٥٦) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، محمد الغزالي، طبعة: دار نهضة مصر، الطبعة: الأولي.
٥٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، طبعة: المكتبة العلمية – بيروت.
٥٨) المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر بن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد بن ابراهيم العبسي ، طبعة مكتب الرشد ،الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ)
٥٩) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى في الفقه الحنبلي ،مصطفى السيوطي الرحيباني (١١٦٥-١٢٤٣هـ) ، طبعة: المكتب الإسلامي، دمشق ،سنة(١٩٦١م).
٦٠) معالم التنزيل في تفسير القرآن ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، طبعة: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة(١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
٦١) معالم التنزيل في تفسير القرآن ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طبعة: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى (١٤٢٠هـ).
٦٢) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، طبعة: دار الحرمين – القاهرة
٦٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار(٢٩٨/١)، طبعة: دار الدعوة ، تحقيق: مجمع اللغة العربية
٦٤) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، أحمد زكي بدوي، طبعة مكتبة لبنان، بيروت سنة(١٩٨٢م).
٦٥) معجم مصطلحات القوى العاملة ، د/ أحمد بدوى ، د/ محمد مصطفى، طبعة مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية (١٩٨٤م).

٦٦) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة: دار الفكر، سنة (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).
٦٧) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٨) مقاصد العمل الخيري والأصول الإسلامية للمشاركة الاجتماعية ، د/ ابراهيم البيومي غانم ، تقديم المستشار طارق البشري ، طبعة مكتبة الشروق الدولية بدون تاريخ.
٦٩) مناقب عمر بن الخطاب – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، ابن الجوزي، طبعة: دار الكتب العلمية ، بيروت.
٧٠) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة :الثانية ، (١٣٩٢ه)
٧١) منهج التربية الإسلامية، ا/محمد قطب ، طبعة: دار الشروق.
٧٢) نحو أسرة بلا مشكلات، د/ محمود محمد عمارة، طبعة دار المنار، الطبعة: الأولى سنة (١٤١٣هـ١٩٩٢م).